سلطان الذاكرين

إمامنا

أبو خليل

حسن
كامل
الملطاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

أئمة الدعوة إلى الله

صلة المؤمن بربه جل وعلا روحية وسابقة على وجوده في هذه الدنيا ، وهي حقيقة ما كنا لنعلمها لولا أن الله نبأنا من أخبارها فقال (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) [١] ثم ان الله استخلف آدم عليه السلام في الأرض تحقيقا لوعده حيث قال (إني جاعل في الأرض خليفة) [٢] فدعا ذريته إلى عبادة الله وذكرهم بعهده المذكور وآمرهم بتبليغ الدعوة جيلا بعد جيل فلما طال عليهم الأمد نقضوا عهد الله ولكن الله لم يتركهم لأنفسهم في هذا الضلال بل أرسل إليهم ((رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) [٣] وذكرهم بالعهد

---

[١] آية ١٧٢ سورة الاعراف .

[٢] آية ٣٠ سورة البقرة .

[٣] آية ١٦٥ سورة النساء .

المأخوذ عليهم فقال (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) [١] وأختار الله لرسله الأوقات المناسبة (ثم أرسلنا رسلنا تترأ) [٢]حتى جاء ميقات البعثة المحمدية التى اكتملت بها الرسالات وتم فضل الله على عباده فقال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) [٣] . ودين الاسلام يشتمل على أمرين هامين هما الشريعة والحقيقة ، فالشريعة هى القيام بما أمر الله ، والحقيقة هى شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر ، ولابد للعبد أن يجمع بين الأمرين حتى يتفق ظاهره مع باطنه فلا يكون ممن عاتبهم الله فقال (يأيها الذين أمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ملا تفعلون) [٤] . وقد

---

[١] آية ٦٠،٦١ سورة يس

[٢] آية ٤٤ سورة المؤمنون

[٣] آية ٣ سورة المائدة

[٤] آية ٢،٣ سورة الصف

كـــــان لرســـــول الله صـــــلى الله عليـــــه وســـــلم أقـــــوال وأفعـــــال وأحوال ، أما الأقوال فقد جمعت فى صحاح الأحاديث النبوية الشريفة ، وأما الأفعال فقد ذكرتهـــا الســـنة النبويـــة المطهـــرة ، وأمـــا الأحـــوال فمنهـــا الرضـــا والتســـليم والخشـــوع وحـــب الخيـــر للمـــؤمنين ، فهـــى أحـــوال قلبية تحس وتورث بالقلوب . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يأخذون الدين عن مولانـــا رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم وحـــدة واحـــدة قـــولا وفعـــلا وحـــالا ، فكـــانوا إذا صلوا خشعت جوارحهم فكانوا يعلمون أن الأمرالالهى (وأقم الصلاة) [١] لا يقف عند اقامـــة الصـــلاة بـــالجوارح مـــن قيـــام وقعـــود بـــل يشـــتمل أيضـــا علـــى خشـــوع وتدبر لأن العبد فى هذا المقام يناجى رب العالمين ويقف بين يديه ، فيالـه من شرف عظيم ومقام كريم وكانوا إذا وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياتـه زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذ تليت

---

[١] آية ١١٤ سورة هو

عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) [١] وإذا خلوا بجلال الله وابتهلوا فاضت أعينهم بالدمع شوقا وكانوا عبادا بالليل فرسانا بالنهار ، أحبوا الله ورسوله أكثر من أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأدخلهم الله فى رحمته وذكرهم فى كتابه الخالد ، فصاروا مذكورين على ألسنة العابدين الى يوم الدين (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الأخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم) [٢] ولقد طهر الصحابة الاعلام قلوبهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (إن فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) وكذلك علموا أن القلب هو مقر الإيمان فقد قال رب العزة والسلطان

---

[١] آية ٢ سورة الانفال .

[٢] آية ٣٠،٣١ سورة فصلت .

(لـــم يســـعنى أرضـــى ولا ســـمائى ووســـعنى قلـــب عبـــدى المـــؤمن اللـــين الـــورع)[١] ويتحـــدث العـــارفون عـــن دور القلـــب فى مدارج الايمان فيقولون ان الله ذكر فى كتابه على لسان عباده المؤمنين قوله تعالى (ربنـــا إننـــا ســـمعنا منادیـــا ينـــادى للايمـــان أن آمنـــوا بـــربكم فآمنـــا)[٢] يقولون أى سمعناه بقلوبنا ويستدلون على ذلك بقوله تعالى (إن فى ذلك لذكرى لمن كان لـــه قلـــب)[٣] وفـــى هـــذه قـــال تعـــالى عـــن أعدائـــه (أولئـــك ينـــادون مـــن مكان بعيد)[٤] أى بعيد عن قلوبهم لأن النداء كان قريبا من أسماعهم ، فالبعد هنا بعد للقلـــوب الغافلـــة وتلقـــى القلـــب للمعـــارف دليلـــه واضـــح مـــن كتـــاب الله إذ يقول (فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب

---

[١] ورد بالاحياء – كتاب القلب .

[٢] آية ١٩٣ سورة آل عمران .

[٣] آية ٣٧ سورة ق .

[٤] آية ٤٤ سورة فصلت

التى فى الصدور) [١] وبمفهوم المخالفة يتبين لنا أن قلوب المؤمنين مبصرة ويكفى دليلا على أن القلب هو محل تنزل الأنوار والأسرار أن الوحى كان يتنزل من السماء على قلب مولانا رسول الله عليه وسلم فقال تعالى (نزل به الروح الأمين على قلبك)[٢] وعن إمامنا على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه وارضاه – الذى قال فيه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أتى العلم فليأت الباب)[٣] – أنه قال إن لله فى أرضه آنية وهى القلوب فأحبها اليه أرقها واصفاها وأصلبها . أصلبها فى الدين وأصفاها فى اليقين وأرقها على الاخوان وهو فى ذلك يشير الى قوله تعالى واصفا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا

---

[١] آية ٤٦ من سورة الحج ٠

[٢] آية ١٩٤ سورة الشعراء ٠

[٣] رواه احمد بمسنده ٠

سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)[١] فلما سجدت قلوبهم لله مع سجود أجسادهم أفاض الله عليها بالأنوار فانعكست هذه الأنوار الربانية على وجوههم فصار لهم سيما تميزهم ، والورد يمتاز بالسيما عن السلم . وقد أوردت السنة النبوية المطهرة الكثير من الأحاديث التى ترجع العمل الى القلب ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله لا ينظر الى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم)[٢] وقوله (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس عن الله القلب القاسى) وقوله (التقوى ههنا)[٣] وأشار الى القلب وقوله (استفت قلبك و ان أفتوك وأفتوك

---

[١] آية ٢٩ سورة الفتح ٠

[٢] رواه مسلم٠

[٣] الحديث (المسلم اخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه ، التقوى ههنا ، بحسب أمرئ من الشران يحقر أخاه المسلم) رواه الترمذى ٠

وأفتوك)[١] وفى الحديث الأخير دلالة قاطعة على أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن القلب إن نور بنور الايمان فإنه يستطيع أن ينظر بعلم فوق علم العلانية ويفهم من هذا أهل النور أن علم القلب هو حقيقة الفقه . ويؤيدون فهمهم هذا بما قاله تعالى (ففهمناها سليمان)[٢] أي خصه بفهم زاده به فوق حكم أبيه ، ويقولون إن العلماء الربانيون الملهمون ليسوا واقفين مع حفظ إنما هم قائمون بحافظ ، وقد قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد كان فيما قبلكم من الامم ناس محدثين ، فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر)[٣] محدثون أى ملهمون . فالإلهام موجود فى أمة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ، وقد كان موجودا فى سابق الأمم فحكى الله قائلا (وأوحينا إلى أم موسى

---

[١] أخرجه أحمد من حديث وابصه .

[٢] آية ٧٩ سورة الأنبياء .

[٣] رواه البخارى ومسلم .

أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين)[١] وحيث أن الله لم يرسل نبيا من النساء (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى)[٢] فإن الوحى لأم موسى وحى إلهام يقذف فى القلوب ولأن الامة المحمدية هى أفضل الأمم (كنتم خير أمة أخرجت للناس)[٣] فلا عجب أن يكون منها محدثون وملهمون ، ولذلك اعتنى السادة الصوفية رضوان الله عليهم بالقلوب فطهرها من الشواغل والاغيار حتى أصبحت محلا لنزول الأنوار والأسرار وجعلوا سبيلهم التقوى والهموا العلم إلهاما ولا عجب فقد قال رب العباد (واتقوا الله ويعلمكم الله)[٤] .

ولما كان سيد المرسلين والخلق أجمعين هو خاتم الأنبياء والمرسلين فقال ربه (ما كان محمد

---

[١] آية ٧ من سورة القصص .

[٢] آية ٤٣ سورة النحل.

[٣] آية ١١٠ سورة آل عمران .

[٤] آية ٢٨٢ سورة البقرة .

أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[١] وحيث كان من الأمم السابقة أنبياء يدعون الناس على شرع الرسل الكرام فقد جعل الله السر فى الأمة المحمدية فى قلوب العلماء مكنونا والشرع فى سلوكهم مصونا ، فأجرى على لسان نبيه وحبيبه وصفيه الذى لا ينطق عن الهوى فقال (العلماء ورثة الأنبياء)[٢] وقال (علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل) ولقد أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة من ظلمات الكفر الى نور الإسلام وتدرج بهم إلى الايمان وسما بهم إلى مقام الإحسان فكانوا أصدق المؤمنين نية وأصفاهم طوية وأقواهم جهادا وأعلاهم مقاما فقال صلوات الله وسلامه عليه (أصحابى كالنجوم بأيهم إقتديتم إهتديتم) ، وهذا النور الذى ورثه الصحابة عن حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ورثوه لمن بعدهم جيلا بعد جيل ، وهذه العملية تسمى

---

[١] آية ٤٠ سورة الأحزاب .

[٢] أخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجه.

ميراث القدم المحمدى . وقد شاء الله رب العالمين أن يكون نور المصطفى صلى الله عليه وسلم دائما منيرا ما بقيت السماوات والأرض فقال (يأيها النبى إنا أرسلنا شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا) ولقد شرف الله نبيه بقوله (إن الذين يبايعونك أنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)[١] فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضى الله عنهم إذ علم صدق قلوبهم فقال (لقد رضى الله عنه المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا)[٢] وقد بايع الصحابة التابعين وبايع التابعون تابع النابعين وهكذا والتزم الجميع ببيعتهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع)[٣] والإمامة فى الأمة ثبتت من

---

[١] آية ١٠ سورة الفتح .

[٢] آية ١٨ سورة الفتح .

[٣] رواه مسلم .

كتاب الله بقوله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم)[١] وورد فى السنة المطهرة أن الإمام المتبوع على الهدى يمد فى طوله يوم القيامة حتى يصير طوله ستين ذراعا من نور فيقول تابعوه ياليت لنا مثل هذا فيناديهم مناد الحق ولكم مثله فقد تابعتموه على الهدى ، ولا عجب فالمرء مع من أحب يحشر فقد قال الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم (أنت مع من أحببت)[٢] والأئمة الذين قال فيهم الحق (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)[٣] لا ينقطعون من الارض إلا أن منهم أكابر من أهل البيت يظهرون على فترات متعاقبة يجددون للناس أمر دينهم مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم (يبعث الله على رأس كل مائة سنة رجلا من أهل بيتى يجدد لها أمر دينها)[٤] فتظهر عليهم البركات والأنوار ويكونون منارات هداية وعلامات بارزة على طريق الهدى لا ينكر فضلهم ولا تخفى

---

[١] آية ٧١ سورة الإسراء ٠

[٢] متفق عليه من حديث انس ٠

[٣] آية ١٨١ سورة الأعراف ٠

[٤] رواه الامام أحمد بن حنبل ٠

أنـــــوارهم مؤيـــــدون منصـــــورون ملهمـــــون لله طـــــائعون وبشـــــرعه عاملون ولسنة رسوله محققون هم رحمة فى العالمين ومصابيح موصلين لنور الحق بـــالله داعـــون . وقـــد وصـــفهم الإمـــام الكلابـــاذى فقـــال (ســـبقت لهـــم مـــن الله الحسنى وألزمهم كلمة التقوى وعزف بنفوسهم عن الدنيا ، صدقت مجاهداتهم فنـــالوا علـــوم الدراســـة وخلصـــت عليهـــا معـــاملاتهم فمنحـــوا علـــوم الوراثـــة وصـــفت ســـــــرائرهم فـــــــأكرموا بصـــــــدق الفراســـــــة ، ثبتـــــــت أقـــــــدامهم وزكـــــــت أفهـــــــامهم وأنـــــــارت أعلامهـــــــم . فهمـــــــوا عـــــــن الله وســـــــاروا الـــــــى الله وأعرضـــــــوا ممـــــــا ســـــــوى الله خرقـــــــت الحجـــــب أنـــــوارهم وجالـــــت حـــــول العـــــرش أســـــرارهم وجلـــــت عنـــــد ذى العرش أخطارهم وعميت عما دون العرش أبصارهم ، آذانهم واعية وأسرارهم صافية ونعـــوتهم حافيـــة . فهـــم أجســـام روحـــانيون وفـــى الارض ســـماويون ومـــع الخلـــق ربانيون سكوت نظار غيب حضار ملوك تحت أطمار أصحاب فضائل وأنوار دلائل نعوتهم خفيـة صـفوية صـوفية نوريـة صـفية ودائـع الله بـين خليقتـه وصـفوته فـى

بريتـــــه ووصـــــاياه لنبيـــــه وخفايـــــاه عنـــــد صـــــفيه ، هـــــم فـــــى حياته أهل صفته وبعد وفاته خيار أمته لم يزل يدعوا الاول الثانى والسابق التالى بلسان فعله أغناه ذلك عن قوله) .

ومجـــــــدد هـــــــذا العصـــــــر هـــــــو الســـــــلطان الـــــــولى شـــــــيخنا وإمامنا وسيدنا محمد أبو خليل الذى سنذكر عنه نبذة لا تحيط به ولكن تشير اليه ، فهو كالنجم فى السماء لا ينال بل يشار اليه بالبنان ، وقد وصفه أحد تابعيه من العلماء وهو المرحوم الشيخ عبد البارى الشرقاوى فقال :

أنما الشيخ كالسماء . . يحسب المرء أفقها منتهاها
فيراها محدودة بحدود لو . . أتاها لما رآها وتاها
ورأى فوقه السماء كما . . كانت وبانت له حدود سواها
من يرى الشيخ فى علو مقام . . وجلال وهيبة يلقاها
لم يرى العارف الولى ولكن كرة العالم العظيم رآها

كما. قال أيضا

كان ملكـا فلـم يزل يترقـــــى

فى المعالــى حتى غدا ملكوتــا

ان هذا هو الخليــل فقبل تــرب

أرض مشى عليـهـا خفوتــا

من يشاهده شاهـــد الأفق

الأعلى وألقى جلاله المنعوتـا

وقد أفاض الله على سيدنا الشيخ على عقل الذى لقب بشاعر الأولياء والذى فتح عليه فــى طريــق ســيدنا الشــيخ ابــو خليــل فقــال إلهامــا الأبيــات التاليــة التــى تصف أهل الفضل من المجددين فى طريق الله فقال :

الحمــد لله بالأيمان يهدينـــا

وبالمحبــة يرضينا ويعطينا

هــدى إلى الحـق أقواما وميزهـم

بالحلـم عاشـوا وهم بالله راضونا

قوم خلـو بجلال الله وإنتهجـــوا

نهجا من الصدق كانوا فيه وافينـا

ثم اختفــوا عن عيون الناس وابتهلوا

لله واجــتهدوا فى الله هــادينا

وأدركــوا أن نور الله مركزه

قلوب قوم لوجـه الله ساعينا

حتى إذا ما أراد الله يظهرهـــم

ويعلن الحق فيهم مستفضينـا

ساروا على الهدى والرحمـن يكلؤهـــم

بفيضــه وهمو فيه مريدينـا

أعلامهم فى سماء المجد قد نشــرت

ومكنت قلوب الناس تمكينـا

والله علمهم بالشــرع فهمهـم

فسددوا واقاموها براهينـــا

وعاهدوا الناس فى سر وفى علــن

أن يلزمـوا الحق والقرآن والدينـا

منهم شيوخ أعـز الله قوتهـم

موصلين بنور الحق سارينـا

فأحمد البدوى الحبر سيدنـــا

أصل الطريق وباسم الله هادينـا

له مناقب لا تحصى لكثرتهـــا

ولم يكن خافا بين المحبينـــا

أقام لله صرحا من دعائمـــه

صدقا وزهدا واخلاصا وتحصـينا

أتباعه ملأت كل البلاد هــدى

فهـــم علـــى ســـنة الهـــادى مجـــدونا

وجـاء من بعده البيومى سيدنـا على المرتقى شيـخ المفاضينا

سلطان أهل التقـى فى عصـره وله رياسة الكل بين النـاس تمكينا

وبعده غفلت أهـل الطريـق لمـا أتى على الناس أمسى الكل مفتونـا

أراد ربك يحمى القـوم فأنبعـث آياته بعد إخفاء توالينـا

أتى مجددهـم يحمى الطـريق ومـن أعطاه مولاه علما ثابتا فينا

أبو خليل أعـز الله سيرتـه محمد من لوجه الله داعينـا

شهم آشـم قوى الجأش ذو همـم مصرف سيد بالحق ينجينـا

أعطاه مولاه نورا لا حدود لـه فبين العلم والايمان والدينا

فكان بالفيض والالهـام آيتنـا للسالكين وكم أحيا مريدينـا

وكان سلطـان أهل الذكر أجمعهم أولاده بقيام الليل راضونا

وكم لـه خلفـاء قال قائلهـم إلـى هنـا تنتهـى روح المجـدينا

أجلهم منزلا أعلاهم ثقة

أرضاهم خلقا أزكاهم دينا

أحلاهم منطقا أقواهم هما

أوفاهم كرما لا يقبل الهونا

مؤدب ما رأينا فى مجالسه

إلا الكمال وسهل إذ يناجينا

سيرة الشيخ أبو خليل

فـــــى القـــــرن الرابـــــع عشـــــر الهجـــــرى وأوائـــــل القـــــرن التاسع عشر الميلادى ظهر قطب الزمان ومعدن العرفان سيدنا ومولانا الشيخ محمد أبـو خليـل مجـدد عصـره وسـيد أوليـاء زمانـه فأحيـا القلـوب بـذكر خالقهـا وجمـع الأرواح على حب بارئها فكان آية من آيات الله الظاهرة وحجة على أهل الغفلة بالغة ، زانـــه تـــاج الولايـــة وأضـــاء وجهـــه نـــور الهدايـــة فكـــان مـــن أســـاطين الدعوة الى الله الذين قيل فيهم

أهل اليقين لهم بالعلم تيجان

والدين حصن وهم للحصن أركان

وهـو الـوارث المحمـدى بحـر العلـوم الزاخـرة والكرامـات البـاهرة إئتنسـت أرواح المـؤمنين بروحـــه وانتعشـــت بعـــد ان شـــربت مـــن عـــذب ورده ، ووقـــف العلمـــاء حـــائرين عنـد حـدودهم إذ أيقنـوا أنـه يفـيض بعلـوم لدنيـة لا قبـل لهـم بهـا فكـان منـارا للسـالكين وتاجـا للعـارفين وإمامـا لأهـل اليقـين ، جمـع فـى سـلوكه بـين الشـريعة والحقيقـة فكان ملتزما بالشرع الحنيف مقيما للتكاليف ليس من أهل الهوى ولا البدع محافظا على الصلوات كثيرالعبرات قانتا مخبتا قائما لليله ولنهاره صائما

نبع رحمة وصفاء وباب فيض وعطاء ، دعا خلفاؤه الناس جيلا بعد جيل إلى سبيل الرشد وهم على صلة بالله دائمة ومدد متصل ، على عهده محافظون وعلى نهجه سائرون .

نسبه رضى الله عنه :

ينتهى نسبه رضى الله عنه من أمه الى سيدنا الإمام الحسن ، أما والده فينتهى نسبه الى سيدنا الإمام الحسين فهو السيد محمد بن السادة خليل بن إبراهيم بن إسماعيل بن موسى بن السيد عيسى بن أبو ذر شرف الدين بن سيدى عبد العزيز الدارانى بن محمد الكاشف بن على الكاشف بن إبراهيم الأكبر بن على الأوسط بن تاج الدين بن على الدين بن سيدى عبد الغفار الحاجى بن سيدى عبد الوهاب جوهر بن سيدى شرف الدين بن سيدى صفاء الدين بن سيدى محمد المكى المشهور بمؤلفاته بن سيدى شرف الدين الراضى بن إمام الحرمين وعمدة العارفين وحجة السالكين على بن ابراهيم النادرى بن سيدى موسى الأوسط بن سيدى ابراهيم الأكبر بن الإمام الصادق أبو بكر الشريف المدنى بن محمد بن عبد الله بن الإمام موسى الكاظم بن الراضى بن جعفر الصادق بن محم الباقر بن على زين العابدين بن الإمام الحسين رضى الله عنه الى مولانا وسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عهده رضى الله عنه :

أخذ العهد عن سيدى الشيخ الشناوى يوسف وهو قد أخذ العهد عن الشيخ السنباوى عن على أبوكليلة عن عبده المغير عن محمد المغير عن يوسف الوقاد عن بدوى المنجد عن صاحب الآيات الباهرة سلطان الموحدين سيدنا ومولانا الشيخ على نور الدين البيومى الشافعى مذهبا الاحمدى طريقة المتوفى ١٨٨٣ هـ وهو أخذ العهد عن الشيخ عبد الرحمن الحلبى عن الشيخ عبد الرحمن عن الشيخ شهاب عن أحمد السبعى عن شحاذه بن على العرافى عن أحمد الشرمحى عن ابراهيم الجبال عن أحمد المنير عن محمد الشناوى عن ابراهيم الجبرتى عن شمس الدين الحذرى عن عبد الله النجيدى عن عبد الله الشناوى عن عمر المنادى عن جمال الدين السيوطى عن عبد الوهاب الجوهرى عن غوث الاغواث وقطب الأقطاب ومعراج السالكين وإمام الداخلين سيدنا ومولانا الشيخ أحمد البدوى القطب النبوى الشريف العلوى وهو قد اخذ عن أخيه بدر الدين حسن الأنور عن الشيخ عبد الجليل عن الشيخ عبد الحميد عن نور الدين عن أبى الحسن عن زين الدين عن نور الدين عن عبد الرازق الاندلسى عن عبد القدوس عن شمس الدين ا لمغربى الفاسى عن أحمد النواوى عن حبيب العجمى عن الامام الحسن البصرى رضى الله عنه وارضاه عن السيد أنس ابن مالك .

تعبده رضي الله عنه :

كان رضي الله عنه يتعبد على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه .

تخطيه رجال السند :

تخطى الشيخ مرحلة الأخذ عن رجال السند فوصل إلى المنتهى واستمد مما يستمدون منه من الورد الأصفى والعسل المصفى من نور الأنوار وسر الأسرار وسيد الأبرار وزين المرسلين الأخيار سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصبح على مر الزمان علامة لا تخفى بل تبين لجميع السالكين فإن قلنا سيدي أحمد البدوي فقد جاء من بعده سيدى على نور الدين البيومى ثم جاء من بعده سيدي الشيخ أبو خليل أعمدة من نور يتلألأ مجددون داعون فى إخلاص ويقين لا يكون إلا لكبار المتقين . وكان يلبس عمامته الحمراء ويقول لبسها البدوي ولبسها البيومى ولبستها أنا . وإن كان فى تاريخ الدعوة إلى الله رجال أى رجال وأبطال أفذاذ إلا أن منهم أئمة كبارا لهم أعلام وآيات باهرات وسيدنا ابو خليل أحد هؤلاء الكبار . وكان إذا جاءت على يديه كرامة يردها لصاحب الكرامات مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقول (بالنبى) .

نشأته رضي الله عنه :

نزح جده من اليمن إلى مصر في عهد الدولة العثمانية وكان من الأمراء (السناجق) وكان صالحا تقيا وتزوج والده بالسيدة والدته التي تنتمي إلى أسرة حسنية شريفة بسنورس بالفيوم تسمى أسرة سليم واستقر بها في القضابة بالغربية حيث ولد سيدنا الشيخ ، ثم انتقل إلى كفر النحال بالزقازيق وفيها نشأ الشيخ وعاش حياته الكريمة . وقد شب على الطاعة وظهرت عليه علامات الرشد مبكرا كشأن كبار الأولياء الذين وصفهم أهل البصيرة فقالوا هو ذلك الذي يربيه الحق من صغره فتراه في الطفولة معتزلا عن الصبيان كأنه في الصبا شيخا ينبو عن الرذائل ويفزع من النقائص ، ثم لا تزال شجرة همته تعلو حتى يرى ثمرها متهدلا على أغصان الشباب فهو حريص على العلم منكمش على العمل ساع في طلب الفضائل خائف من النقائض ، فلو تصورت التوفيق والإلهام الرباني كيف يأخذ بيده إن عثر ويمنعه من الخطأ إن هم ويستخدمه في الفضائل ويستر عمله حتى لا يراه منه فلو تصورت النبوة تكتسب لدخلت في كسبه .

كسبه رضى الله عنه :

مات والده وتركه ولم يترك له شيئا وكان ذا تقى وعفه وزهد فاشتغل رضى الله عنه بتجارة الغلال وكسب منها حلالا أغناه عن الناس وظل يعمل ويكسب حتى نهاية حياته ، وكان ينفق الكثير فى الدعوة الى الله تعالى ، فكان لا يأخذ من أحد أجرا بل يطعم أهله ويكرم ضيفه ويصل رحمه . وصدق الله العظيم اذ يقول (اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون)[1] وقد سأل أحد المتشككين وليا من أولياء الله فقال من أين تأكلون فقال الولى : (ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون)[2] .

إجتهاده فى أول الطريق :

سلك سيدنا أبو خليل الطريقة البيومية على يد سيدى الشيخ الشناوى يوسف وكان وليا تقيا ذا كرامات ظاهرة فاجتهد سيدى ابو خليل فى ذكر الله حتى أصبح يذكر بالليل واشتد شوقه الى الله لما حباه

---

[1] آية ٢١ سورة يس .

[2] آية ٧ سورة المنافقين .

الله من طبيعة طاهرة ونفس تقية (والله يجتبى إليه من يشاء ويهدى من ينيب)[١] . فمن الأولياء من يجتبيهم الله فيجذبهم إليه ومنهم من يجاهد وينيب أى يعود الى ربه فيهديه سواء السبيل وكان سيدنا الشيخ ابو خليل ممن اجتباهم الله وتولاهم ، وقالوا هناك ولى يتولى الله بالمجاهدات حتى يكرمه بصدق المشاهدات وهناك ولى يتولاه الله فيفتح له الأبواب ويدخله الرحاب ويجلسه على بساط القربى ويفيض عليه من المحبة والرضوان ويأتيه من فيض الله ما لا يوصف باللسان ولا تخطه الأقلام . هكذا كان شيخنا الإمام محمد أبو خليل كان يذكر الليل فإذا غالبه النوم يقوم ويتوضأ ويصلى وأحيانا كان ينزل الى الماء البارد ليذهب عنه النوم ، وكان يذكر الله على حبات الفول فينقل فى ليلة واحدة كومة كبيرة من مكان الى مكان ، وأخذه الجذب وأراد الله له الملاطفة وإظهار الكرامة والتخصيص فنزل ذات يوم

---

[١] آية ١٣ سورة الشورى

الى الماء البارد ليذهب عنه أثر النوم فخرج منه وملابسه لم تبتل وقد وجده دافئا ، وسبحان الله اللطيف من يصور الشيىء فى قالب ضده ، الذى قال للنار (يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم)[١] . فخاصية النار الأولى هى الاحراق وإذا بها تنقلب الى برد وسلام على ابراهيم حتى إذا خمدت وجد الناس سيدنا إبراهيم معافا سليما ، وجاء فى السنة أنه حتى ملابس سيدنا ابراهيم التى تلى بدنه قد حرقت فنزل جبريل عليه السلام بقميص من الجنة ألبسه له وقال ألك حاجة ، قال أما لك فلا وأما إلى ربى فحالى يغنى عن سؤالى ٠ وورد أن هذا القميص هو الذى توارثته ذريه ابراهيم حتى جاء إلى يوسف فألقاه على وجه أبيه يعقوب فارتد بصيرا . ولا عجب فإن الله (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا)[٢] قادرا على أن يلاطف أوليائه وأصفيائه فيما بينه وبينهم . والأولياء مرادون من الله بلطائف صنعه معهم (يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك

---

[١] آية ٦٩ سورة إبراهيم ٠

[٢] آية ٨٠ سورة يس ٠

فاستخدميه) .

ولا عجب أن يدخل الأمام الرفاعى على الخليفة فيسأله الخليفة ، ألك حاجه ، فيقول له : إن حاجتي يقضيها دائما صاحب الحاجات . والذين جذبهم الله فى حبه لا ينامون إلا قليلا ، ويكفيهم من يومهم النوم القليل لأن أرواحهم منتعشة متصلة بالملأ الأعلى ، وقد نلاحظ هذا في حياتنا اليومية ، فأنت إذا كنت مهموما مكدورا لم يكفيك النوم بل قد يقوم الرجل من نومه متعبا لا مستريحا أما المسرور فإنه يقوم منتبها فرحا معافا . وكان من عادة الشيخ أن يترك أصحابه لينعموا أما هو فيخلو ليذكر ولا ينام . كما رأينا سيدى عبد السلام الحلوانى الذى كان يقول له سيدنا الشيخ ابو خليل أهلا بالولى الكامل رأيناه لا ينام من ليله ونهاره الا إغفاءة قصيرة وهو جالس فتكفيه ويقوم مجددا نشاطه .

وكان من عادة الشيخ شناوى يوسف أن من يتأخر

من أولاده عن الحضرة بغير عذر عاقبه بأن يمر على ظهره بمسبحته فيمرض المريد أياما ، وذات يوم فعل ذلك مع شيخنا رضى الله عنه فجاءه فى اليوم التالى معافا صحيح البدن فعلم بإكرام الله له وهنأه بما نال من إكرام .

خلوته :

وحبب لسيدى أبو خليل فى أول أمره الخلوة والبعد عن الناس وحال الجذب يبدأ بالكشف فيرى الولى الناس على حقيقتهم من الغفلة وتدبير المكائد وظلمة القلوب وفسادها وسوء القصد والبغضاء وكراهية الحق والغفلة عن الله بينما يرى سائر المخلوقات وقد سبحت بحمد ربها ، ويرى أثر الله فى كل شىء ، ثم يلى ذلك اشتداد فى المحبة بينه وبين الله فيكون بين خوف ورجاء ، ثم يفاض عليه بالأنس ويزداد أنسه يوما بعد يوم وإذا بالأزمان والأشياء قد تضاءلت وتلاشت فلا يرى إلا الله فيها فيخلوا من غير قصد ولا تدبير بربه ، وهنا لمسة للقلب ومقام للقرب

وفى الخلوة هذه تحدث للولى الاكرامات من الله والملاطفات ويستغنى عن الأسباب فلا تقيس ما يحدث فيها بما نعرف من علم العوام . ولا عجب فقد روى ربنا أنه كان يرزق مريم فى خلوتها بغير أسباب (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله)[١] ومريم ليست نبية بل صديقة (وأمه صديقه)[٢]. ومن الاكرامات أن سيدى الشيخ لا يأكل ولا يشرب ولا ينام مائة وسبعة عشر يوما ، ثم رد من هيامه فألقى فى حجرة رغيفين مملوئين عدسا وأرزا كأنما خرجا من الفرن تواً . وأنه كان يرى أنوار أهل القبور ويرى المعذبين منهم ويسمع أنينهم ، ولا تأتى كرامة لولى إلا وقد سبقت لسيد الأولياء والأنبياء والأصفياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد مر ذات يوم على قبرين فقال (إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر

---

[١] آية ٣٧ سورة آل عمران .

[٢] آية ٧٥ سورة المائدة .

فكان لا يستنذه من بوله فدعا بعسيف رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)[١] ، وروى أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب حدث عن أهل بدر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ؛ يقول (هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله) . قال عمر : فوالله الذى بعثه بالحق نبيا ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم فقال (يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا ؟) فقال عمر : يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها ؟ قال (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شىء)[٢]. ومن الكرامات ان سيدى أبو خليل سمع شجرة تسبح (وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن

---

[١] رواه البخارى ومسلم .

[٢] رواه مسلم .

لا تفقهون تسبيحهم)[١] وتقول سبحان من تسبح له الأغصان والأوراق . ولكن الله حجب عنا ذلك رحمة بنا فقد كشف لأحد الأولياء يوما تسبيح الارض فى كل مكان فاستحى أن يتبول عليها ، وكلما ذهب لمكان وجده وسمعه يسبح بحمد الله ، حتى سأل الله أن يرفع عنه هذا حتى يستطيع أن يقضى حاجته ، ولا تعجب فقد قال الله تعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض)[٢] فإن المؤمن الذى يموت تبكى عليه الارض التى سجد عليها والسماء التى توجه اليها بالدعاء ، وورد فى السنة المحمدية النبوية المطهرة أن الجبال تفاخر بعضها فيقول الجبل لجاره مر بجوارى اليوم رجل صالح ، وروى أن أنس بن مالك حدث (أن النبى صلى الله عليه وسلم صعد أحد وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان)[٣] وقال (أحد جبل يحبنا ونحبه)[٤] . فسبحان من ألقى محبة أنبيائه

---

[١] آية ٤٤ سورة الإسراء .

[٢] آية ٢٩ سورة الدخان .

[٣] رواه البخارى .

[٤] رواه البخارى .

وأوليائه حتى فى الأحجار ، وقد أمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصوات من الارض فى يده الشريفة فسمعها أبو بكر وعمر وعلى تسبح . وقد حكى الله عن داوود عليه السلام فقال (يا جبال أوبى معه والطير)[1] أى رجعى معه ، ومما أكرم به سيدى ابو خليل رضى الله عنه أنه قد ألهم فهم كلام الطير . وروى سيدنا أنس بن مالك فقال (خرجت يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الفلاة فرأيت هدهدا يقف على شجرة فنقر بمنقاره نقرتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرى ما قال ، قلت : الله ورسوله أعلم قال : إنه يقول اللهم قد كففت بصرى وقد جعت فأرزقنى وأنت خير الرازقين . يقول سيدنا أنس وما أن تم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه حتى سقطت جرادة فى منقاره فأكلها ، ثم نقر نقرتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرى ما قال ، قلت : الله ورسوله اعلم ، قال : انه يقول من توكل على الله كفاه) .

---

[1] آية ١٠ سورة سبأ .

عودته من الخلوة رضى الله عنه :

لا يعود الولى من خلوته بواعز من نفسه بل بأمر إلاهى ، فيرجعه الله من الفناء الى البقاء ، ويأمره بالدعوة إلى الله . وقد عاد رضى الله عنه من خلوته فوجد أن أهل بيته أنفقوا جميع ما له حتى لم يبقى فى بيته سوى ثلاثة قروش ، ولكن الحق يقول فى حديث قدسى (يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه) ، فخدمته الدنيا وبارك الله له فى رزقه . وقد زاره شيخه المبارك الشيخ شناوى يوسف فاحضر له رقعة الخلافة فحفظها عنده ، وظهرت على يديه الكرامات الباهرات المبهرات حتى أسلم على يديه الكثير من أهل الكتاب .

صفته رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه طويل الهامة معتدل القامة خمرى اللون لا بالبدين ولا بالنحيف مسيح البطن وصفه سيدى عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه فقال : كان شديد الحياء من الله تعالى فإذا جلس يجلس مستويا

متأدبا وكان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر وأحسنهم بشرا ، لا يهوله شيء من أمر الدنيا . وكان غاية في الزهد والورع والكرم ، وكان أعدل الناس وأعفهم يكره أن يمس يد أمرأة لا يملك عصمتها أو تكون ذات محرم منه حتى كانت تأتى إليه النساء ليأخذون عليه العهد فلا يضع يده في يدهن بل كان يأتى بالمسبحة فيمسكها من جهة والمرأة من جهة أخرى وهى مقنعه ، وإن كلمهن لا يكلمهن إلا في الدين وما يصلح للآخرة . وكان يلبس ما وجده ، وكان يقابل جميع الناس بالبشر والاينياس وربما جاءوا إليه وقاموا من غير كلام لشدة هيبة مجلسه وسكونه . وكان لا يهتم بمقابلة الناس لقصد المؤانسة إلا إن كان لذكر الله وإعطاء العهود ، وما عدا ذلك فكان يقول لا شأن لنا بهم . وجاء في وصفه ؛ كان لا يدعو على أحد بل يدعوا له وهذه صفة كبار الأولياء ، فقد وقف الإمام الجنيد على شاطىء نهر ومعه صاحب له ومر قارب به شبان ماجنون فقال صاحبه هلا دعوت الله عليهم فقال الإمام " اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة " وهو بذلك يدعو لهم بكثرة الفكر

والعبر لأنهم لا يفرحون فى الآخرة إلا بالاشفاق فى الدنيا ، فقد حكى الله عن أهل الجنة اذ يتحدثون فيقولون فى مرح بعد أن نجاهم الله من النار (قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين . فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم . إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم)[1] . وكان لا يحب أن يسمع مكروها عن أصحابه ولا يستمع الى وشاية .

وكان لا يحب أن يتميز عن أصحابه ، فإذا جاء الغريب يسأل عنه أو يعرفه بنور طلعته وهيبته ووقاره .

وكان رضى الله عنه يقابل أصحابه بالرفق ، فإن أطلعه الله على سيئة فعلوها فإنه يشير إليها فى حديثه تلميحا ولا يذكر صاحبها ولا يتوجه اليه بالكلام فيحس بها فاعلها ولا ينكشف أمره وسط اخوانه فيندم عليها أشد الندم إذ انه بعدها يتبع كلامه بوعظ

---

[1] آيات ٢٦ ،٢٧ ،٢٨ سورة الطور .

وإرشاد ، كما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأعلام من بعده ، فيكون تأثير هذا الأسلوب الجميل متفقا مع ما قاله رب العالمين (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)[1] . ومن ذلك تعرف أن الشيخ كان حكيما فى تصرفه قد أتبعه بموعظة حسنه . وهنا يجدر بنا أن ننبه ونشير إلى أن من اتبع سبيل ربه فى الإرشاد والتوجيه أعانه الله فأوقع وعظه فى قلوب السامعين وكلما امتثل الولى التقى لربه واتبع سبيله فى دعوته كلما تفتحت له القلوب ، ولأن شيخنا ومولانا أبا خليل كان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة فقد أم دعوته الجميع الغفير حتى بلغوا مئات الألوف ومازالوا فى ازدياد بفضل الله .

وكان سيدنا الشيخ أبو خليل يتدرج مع أولاده فى العلم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم) وأحيانا يلاطفهم كأنه هو طالب العلم وهو فى كل مقام له حال مع المريد

---

[1] آية ١٢٥ سورة النحل .

حتى يأخذ بيده إلى سواء السبيل وهذه سنة الأولين الصادقين . فقد روى أن سيدنا الحسن وسيدنا الحسين وجدا رجلا شيخا لا يحسن الوضوء فقالا له ياعم أنا وأخى نختلف فى كيفية الوضوء فهل لنا أن نتوضأ أمامك الواحد يلى الآخر حتى نعلم أينا أصح وضوءا فلما فعلا وتطابق فعلهما قال الرجل وكان مؤدبا أنتما تحسنان الوضوء وأنا الذى لا أحسن وقد فهمت وتعلمت منكما جزاكما الله عنى خيرا .

سياحته رضى الله عنه :

من عادة الأولياء الأتقياء السير على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزورون مريدهم ويسعون اليهم ، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور أصحابه ويصلهم فى مرضهم وصحتهم ، أما ما درج عليه أهل الكبر والغرور فهو الامتناع عن السعى لمن هم أقل منهم شأنا فى الحياة الدنيا فيتعفف المتكبر من هؤلاء أن يسعى الى فقير أو تابع له ، بل يرى أن من واجب الناس أن تسعى إليه وأن تؤدى

لـــه فـــروض الطاعـــة والـــولاء ، أمـــا مـــن ســـار علـــى درب الهـــدى فإنـــه يســـعى إلـــى أحبابـــه ســـعاية فـــى الله لا تشـــوبها شـــائبة مـــن هـــوى أو غـــرض ، وقـــد روى فـــى الســـنة أن رجـــلا خـــرج الـــى بلـــدة يـــزور فيهـــا أخ لـــه فـــى الله فأرســـل الله لـــه ملكـــا علـــى مدرجتـــه فـــى صـــورة رجـــل فقـــال لـــه إلـــى أيـــن أنـــت ذاهـــب قـــال لبلـــدة كـــذا قـــال لـــم قـــال لأزور أخـــا لـــى فـــى الله قـــال ألـــك عليـــه نعمـــة تربهـــا قـــال لا بـــل هـــو أخـــى فـــى الله قـــال لـــه ، فـــانى رســـول الله اليـــك أبلغـــك أن الله يحبـــك بحـــب أخيـــك ، وقـــال صـــلى الله عليـــه وســـلم (نظـــرة الرجـــل لأخيـــه علـــى شـــوق خيـــر مـــن عبـــادة ســـنه فـــى مســـجدى هـــذا) ، وقـــد ورد أن مناديـــا ينـــادى مـــن قبـــل العـــرش يـــوم القيامـــة (أيـــن المتحـــابون بجلالـــى ؟ اليـــوم أظلهـــم فـــى ظـــل يـــوم لا ظـــل إلا ظلـــى)[1] . وســـفر الشـــيخ لاتباعـــه جهـــاد ومشـــقة ييســـرها الله عـــز وجـــل ويجمـــع بهـــا القلـــوب ، فمـــا أن يعـــرف الأحبـــاب أن الشـــيخ قـــد حـــل ببلـــدة كـــذا إلا واجتمعـــوا عليـــه وتـــآلف الاخـــوان وأقيمـــت مجـــالس

---

[1] رواه مسلم .

الـــذكر والعلـــم فكانـــت جولاتـــه رضـــى الله عنـــه صـــلة رحـــم فـــى طريـــق الله وتنشـــيطا للقلـــوب وفتحـــا للطريـــق ، ومـــا يتـــرك الشـــيخ المكـــان مســـافرا إلا وقـــد طـــاب منـــه العطـــر ونشطت الأرواح تتلهف إلى لقاء جديد فى شوق وحنين .

قوم كرام السجايا حيثما جلسوا

يبقى المكان على آثرهم عطرا

وكـــان الله يبـــارك فـــى الطعـــام القليـــل فيكفـــى مـــن النـــاس الكثيـــر وعلـــى كثـــرة العـــدد الموجـــود لا يلحـــظ هـــرج ولا فوضـــى بـــل ســـكون وســـكينة وأنـــوار وأســـرار وســـرور بـــالغ . وكـــان لـــه فـــى ســـياحته الكثيـــر مـــن الكرامـــات التـــى تبهـــر العقـــول وتعلـــوا علـــى المقـــول وكـــان الـــبعض يـــذهب اليـــه هربـــا مـــن الأكـــدار فيمكـــث اليـــوم واليـــومين وهـــو فـــى أنـــس عظـــيم ويعـــود الـــى أهلـــه وقـــد ذهبـــت أكـــداره وصـــف أســـراره . فأنـــت إذا جلســـت مـــع الســـرور ســـررت وإذا جلســـت مـــع المحـــزون حزنـــت ، وقـــالوا مـــن جـــالس جـــانس ، ولأن الشـــيخ رضـــوان الله عليـــه قـــد ائتـــنس بـــالله ولان مجلســـه

مجلس ذكر لا لهو وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر)[١] فإن من حضرها حدث له سرور عظيم وبهجة وشوق إلى الله يزيل ما فى نفسه من كدورات وإن لم ينطق اللسان بالكلام ، فالأرواح تتنسم عبير الجنان . وعنه صلى الله عليه وسلم إنه قال (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، لا يعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة)[٢].

وكان من عادته رضى الله عنه أنه يسأل من حضر عمن غاب عملا بسنة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يتفقد أصحابه ، وكان عقب صلاة الفجر يسأل أصحابه هل منكم من رأى رؤيا يقصها علينا ، هل منكم مريض فنعوده . ألا رضى الله عن شيخنا الهمام وعن صاحب الفضل والالهام ، وصلى الله وسلم

---

[١] رواه الترمذى .

[٢] رواه البخارى .

على مولانا رسول الله المشفع فى الزحام .

المريدون سواسية :

كانت مجالس سيدنا الشيخ ابو خليل جامعة لطبقات مختلفة من المريدين ، والكل من قبل الشيخ متساوون العالم والمتعلم ذوو الجاه والعوام ، والكل سواسيه فلا مجالس خاصة ولا مميزات فى طعام أو حديث ، قد اجتمع الكل على ذكر الله وسرت فيهم المودة والأخوة فى الله ، ويقول سبحانه (إنما المؤمنون أخوة)[1]. وهذه صفة مجالس الأولياء الصادقين المؤيدين بروح من الله ، فليس لهم عند ذى جاه طلب ولا يخشون من ذى سلطان ، وسلطان الله باق معهم وسلطانه لا ينفذ أبدا ، فهم يعملون بما جاء فى الحديث القدسى (يابن آدم لا تخف من ذى سلطان مادام سلطانى باقيا وسلطانى لا ينفذ أبدا . . . يابنى آدم لا تخشى من ضيق الرزق وخزائنى ملآنة وخزائنى لا تنفذ أبدا . . يابن آدم لا تطلب من غيرى وأنا لك فإن طلبتنى وجدتنى وإن فتنى فتك وفاتك الخير كله . . . يابن آدم خلقت الأشياء من أجلك

---

[1] آية ١٠ سورة الحجرات .

وخلقتك من أجلى فلا تنشغل بما هو لك عمن أنت له . . يابن آدم إن رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندى محمودا ، وإن لم ترض بما قسمته لك فبعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البرية ثم لا يكون لك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما . . . يابن آدم خلقت السماوات والأرض ولم أعى بخلقهن أيعيينى رغيف عيش أسوقه إليك . . . . . يابن آدم لم أطالبك بعمل غد فلا تسئلنى عن رزق غد فأنا لم أنس من عصانى فكيف بمن آطاعنى . . . يابن آدم أنا لك محب فبحقى عليك كن لى محبا) .

ذلك أن الله هو رازقهم ومحييهم ومميتهم ومحرك قلوبهم فتساووا أمامه وأصبح أكرمهم عند الله أتقاهم (إن اكرمكم عند الله أتقاكم)[1] فساوو بين الناس . والله يعلمنا فى

---

[1] آية ١٣ سورة الحجرات .

مولدنا وفى موتنا وحشرنا بل كل يوم وكل جمعه وكل عيد وكل عام أننا سواسية . فنولد جميعا عراه لا نفقه شيئا الغنى والفقير والعظيم والبسيط ونموت نشبع بالأكفان ندفن فى التراب سواسية ، ونقف فى اليوم خمس مرات للصلاة الكتف بالكتف والقدم بالقدم سواسية نخر لله سجدا لا فرق بين عبد وعبد فلا صف للعظماء ولا مكان للأغنياء فتقف كتفك بكتف خادمك عبادا لله ، فالصف الاول كالاخير ثم نجتمع فى الجمعة كذلك نجلس فى الجمعة سواسية نستمع الى كلام واحد والصف الاول لمن سبق وفى الأعياد وفى الحج كل الناس يلبسون المحيط ويخلعون المخيط فى وقت واحد يبتهلون إلى رب واحد فلا عجب أن يكون الناس فى مجالس كبار الأولياء من أمثال شيخنا أبو خليل متساويين .

علمه رضى الله عنه :

أما عن علمه رضى الله عنه فإنه علم لدنى يسقى به من الأصول ، وهو ما حكى الله عنه فى كتابه العزيز قائلا (فوجدا عبدا من عبادنا . آتيناه رحمة

من عندنا وعلمناه من لدنا علما)[١] وشيخنا لم يدخل مدرسة ولا جامعة ولا دخل الأزهر ولا حصل العلوم التى يحصلها غيره لأن من أغناه الله بعطاياه استغنى عن الأسباب . كان وارثا للقدم المحمدى ، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولكنه علم القارئين والكاتبين وأفاض الله سبحانه وتعالى على أولاده الالهام الغزير . وأسوق هنا مثلا على سمو مقام الشيخ فى العلم اللدنى فذات يوم جرى الحديث التالى . بين سيدنا الشيخ وسيدنا عبد السلام الحلوانى تلميذه الأول ، قال الشيخ أيهما أوسع ياسيد عبد السلام رحمة الله أم سعة الله ؟ قال السيد عبد السلام رحمة الله يا شيخى قال الشيخ وما دليلك قال (ورحمتى وسعت كل شىء)[٢] فقال الشيخ أبو خليل فما قولك فى قول الله تعالى على لسان الملائكة الحاملين للعرش (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما)[٣] فدخلت الرحمة فى السعة .

---

[١] آية ٦٥ سورة الكهف .

[٢] آية ١٥٦ سورة الأعراف .

[٣] آية ٧ سورة غافر .

من أقواله رضى الله عنه

- ذكر أحد الحاضرين أمام الشيخ ذات يوم بيت الشعر الذى يقول :

واذا العناية لا حظتك عيونها

نم فالمخاوف كلهن أمان

فقال رحمة الله عليه فى روعة ونور كالبرق الخاطف بل قل :

واذا العناية لاحظتك عيونها

قم فالمخاوف كلهن أمان

واستفاض شارحا فقال : إذا لاحظتك العناية الالهية فعليك بالقيام والسعى اذ كيف ينام من واتته العناية وفتحت له خزائن المنن . وهكذا غير الشيخ حرفا واحدا فغير المعنى ونقل السامع من حال الى حال .

- وكان رضى الله عنه يقول أبنى الذاكر فجعل نسبه ورحمه فى الله تعالى .

- وكان يقول الدنيا كالبغى تستدرج طالبها ثم تسكره وتتلاعب به .

- من اتخذ وردا غير ما أمر به شيخه فهو شيخ نفسه
- ليس العيد لمن لبس الجديد وإنما العيد لمن خاف الوعيد .

- لـــو أعطيـــت وجهـــى للـــدنيا لكنـــت مـــن أغنـــى الأغنيـــاء ولكـــن كلمـــا أقبلـــت أوليهـــا ظهـــرى خوفـــا مـــن اشـــتغالى بها عن ربى .

وكـــان يقـــول : مـــن ظـــن أن أحـــدا مـــن اخوانـــه أقـــل منـــه لا يفلح فى الطريق .
وقـــال فـــى فـــتح أولاده : إن الثمـــر يأخـــذ مـــن غصـــون الشجرة .
- الشـــيخ كـــالمعملى يفحـــص البـــيض فالســـليمة يبقيهـــا والفارغة يرميها .
- اذكـــروا الله ذكـــرا خالصـــا لوجهـــه الكـــريم لا تقصـــدوا منـــه ولايـــة ولا درجـــات ولا عطيـــة مـــن العطيـــات . وفـــى ذلك يقول تلميذه النجيب الشيخ على عقل :

لا تذكـر البارى بقصد ولايـة
أو أن تكون على السما لا تنطفى
إذكر لـوجه الله جل جلالـه
مـــن رام غيـــر جنابـــة لـــم يشـــرفى

- وكـــان ســـيدي أبـــو خليـــل يقـــول أمـــا تشـــتاقون للجلـــوس مع الله القائل (أنا جليس من ذكرنى) .

وكـــان يتـــأوه ويقـــول : أيـــن فرســـان الليـــل أيـــن مـــن هجروا الفراش وقاموا الليل وذكروا وتهجدوا أين الخائفون أين الباكون .

– وكـــان يقـــول : إن الله الـــذى أقـــدر الشـــيطان أن يجـــرى مـــن ابـــن آدم مجـــرى الـــدم فـــى العـــروق ويصـــل الـــى القلـــب وهو عدوه قادر ان يجرى روح الشيخ من مريده مجرى الدم من العروق ويصل الى القلب وهو حبيبه . ويقول فى ذلك مولاى الشيخ على عقل :

والله والله العظيم ثلاثة الشيخ حاضر

هـو سـامع مـا قـد سـمعت ونـاظر ومـا أنـت نـاظر

ولا تعجب أخى فى الله فان تربية القلوب لا تتم إلا عن طريق عارف أطلعه الله على الخفايـا وفـى هـذا يقـول سـيدي بـن عطـاء الله السـكندرى رضـى الله عنـه " لـيس شـيخك مـن سـمعت منـه إنمـا شـيخك مـن أخـذت عنـه ، ولـيس شـيخك مـن واجهتـك عبارتـه ولكـن شـيخك مـن سـرت فيـك إشـارته ، وشـيخك هـو الـذى يجلـو مـرآة قلبـك حتـى تجلـت فيـه أنـوار ربـك ومـازال محازيـا لـك حتـى ألقـاك بين يديه وزج بك فى نور الحضرة وقال لك ها أنت وربك " . ومن عجيب ما حدث وما يثبت رعاية الشيخ لابنائه حتى بعد انتقاله أننى كنت ألقى درسا بمنزلى فسـألنى أحـد المريـدين عـن سـر ذكرنـا مائـة ألـف

مـــرة لكـــل اســـم مـــن أســـماء الله الحســـنى فأجبتـــه ان ذلـــك ممـــا أمـــر بـــه الشـــيخ وهـــو كالطبيـــب يصـــف للـــروح الـــدواء فـــلا نراجعـــه فيمـــا أمـــر بـــه مـــن جرعـــات ، ولكـــن مريـــدا آخـــر وهـــو الســـيد المرحـــوم نـــور الـــدين طـــه وكـــان يعمـــل بالمحامـــاة قـــد اشـــتغل بهـــذه المســـألة فـــى نفســـه ولـــم يبـــدها ، فلمـــا أواه المبيـــت فـــى هـــذه الليلـــة رأى ســـيدنا الشـــيخ محمـــد أبـــو خليـــل يقـــول لـــه : ســـلم لـــى علـــى عمـــك حســـن ، ثـــم قـــال لـــه مـــاهو أكبـــر عـــدد فـــى القـــرآن فلمـــا قـــام مـــن نومـــه بحـــث فـــى كتـــاب المعجـــم المفهـــرس لالفـــاظ القـــرآن الكـــريم عـــن الأرقـــام فـــى القـــرآن فبـــدأ بأقلهـــا حتـــى اذا جـــاء الـــى المائـــة وجـــد قولـــه تعـــالى (فأرســـلناه الـــى مائـــة ألـــف أو يزيـــدون) ، وهكـــذا فالشـــيخ يتـــابع درســـا مـــن دروس العلـــم بالطريق ويجيب على خواطر الاخوان الحاضرين وياله من أمر عظـــيم . وقـــد كـــان أحـــد العـــارفين يقـــول : " لا يكـــون الشـــيخ مـــن رجـــال الله إن حجبـــه بعـــد موتـــه عـــن أحبابـــه متـــر مـــن تـــراب " والـــوارث المحمـــدى والـــولى لـــه مـــن نفحـــات رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم مـــا لايعـــد ولا يحصـــى ، فقـــد روى أن ســـيدنا المصـــطفى صـــلى الله عليـــه وســـلم كـــان يطـــوف بالبيـــت فقابـــل منافقـــا يحـــدث نفســـه بقتلـــه فعلـــم مـــا فـــى نفســـه فســـأله " فـــيم تفكـــر " قـــال المنـــافق : فـــى ذكـــر الله ، يقـــول الرجـــل فوضـــع رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم يـــده علـــى صـــدرى فشـــفيت ممـــا أنـــا فيـــه

وصار أحب إلى من نفسى ومالى وولدى . وحديث حذيفة بن اليمان معروف ، إذ جاء حذيفة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يجلس وسط أصحابه فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : يا حذيفة أخبرك عما جئت تسأل عنه أو تخبرنى ، قال : بل أخبرنى يا رسول الله ، قال : جئت تسألنى عن البر يا حذيفة ؛ البر ما أطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى الصدر وخفت أن يطلع عليه الناس ، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينكث فى صدرى ويقول يا حذيفة استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك[1] . ولم تزل مكاشفة القلوب من صفات الأولياء والمرشدين ، فقد قرأ سيدي الشيخ أحمد الحلوانى وكان من أهل العلم والتقوى حديثا يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله يبغض الحبر السمين " . يقول الشيخ : فوقع فى نفسى خاطر وسواس سرعان ما طردته يقول ان شيخنا الشبراوى (وكان سالكا على الطريقة الشبراوية) سمين . فلما سافر اليه

---

[1] آية ١٤٧ سورة الصافات .

بعد فترة والتقى به قال له الشيخ الشبراوى : الحبر السمين غليظ القلب يا أحمد لا غليظ الجسد .

وكان سيدنا الشيخ أبو خليل إذا مر فى طرقات المدينة يقول : " قصور ولكن فيها قصور ، وأكواخ ولكن فيها بدور " ، وهو بذلك يشير إلى أن قيمة الإنسان ليست بسكنى القصور بل بنور القلوب ، فكم من طاغية جبار قد أظلم قلبه واستوحش قد سكن قصرا منيفا ، وكم من ولى نقى قد أنير قلبه حتى أصبح بدرا منيرا قد سكن كوخا بسيطا ، وكم لله من أولياء أخفياء قدرهم عند الله عظيم وكبار الأولياء من أمثال شيخنا أبو خليل يرون بنور الله ما لا يراه الناظرون فبينما يسيرون فى الطرقات إذ كشف الله لهم ما وراء الحجرات فرءوا قصورا تبهر الأعين قد حجبت قلوبا غلفا وآذانا صما ، ورءوا أكواخا صغيرة قد حوت قلوبا بصيرة . وهذا حال لأولياء الله قد ورد ذكره فى السير فقد روى أن سيدنا بشر الحافى قد لقب بالحافى لحكاية طريفة من أحد الأولياء المكشوف عنهم الحجاب ؛ فبينما كان هذا

الشاب يجلس فى قصره وحوله حشمه وخدمه ينتظر رفقاء السوء ليلهو معهم فى مجون ، وصدق من قال ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة ، إذ طرق الباب رجل من أولياء الله كان يسير فى الطريق فكشف الله له ما وراء الجدر ووجهه بأمر من عنده ليطرق على هذا الشاب بابه وتحدث إلى الخادمة فلما سألها بشر من جاء يا جارية وقد ظن أن أصحابه قد بدوءا يتوافدون قالت الخادمة : هذا رجل مجنون قد سألنى صاحب هذا القصر عبد أم حر ، فقلت له إنه حر من السادات ، فقال لى صدقت لو كان عبدا لاستحى ان يعصى سيده ومولاه تحت سمعه وبصره وهو يقصد بذلك رب العالمين الذى يراه ويطلع على خائنة الأعين وما تخفى الصدور . وشاء الله أن يتوب الشاب ففهم معنى الكلام وأسرع خلف الرجل من غير أن يلبس حذاءه حتى يستطيع أن يلحق به ، فلما لقيه نصحه فاستمع الى نصحه واستقام لأمر الله . وسيدنا ابو خليل يلفتنا إلى أن نقيم الناس على قدر قلوبهم لا على قدر

جيـــوبهم ، فقـــد دأب النـــاس علـــى احتـــرام الغنـــى والتعفـــف مـــن الفقـــر . ولأن الشـــيخ علـــى القـــدم المحمـــدى فقـــد أطـــاع الله فـــى ذلـــك إذ يقـــول لرســـوله صـــلى الله عليـــه وســـلم (واصـــبر نفســـك مـــع الـــذين يـــدعون ربهـــم بالغـــداة والعشـــى يريـــدون وجهـــه ولا تعـــد عينـــاك عـــنهم تريـــد زينـــة الحيـــاة الـــدنيا ولا تطـــع مـــن أغفلنـــا قلبـــه عـــن ذكرنـــا واتبـــع هـــواه وكـــان أمـــره فرطـــا)[1] . وقـــد نزلـــت هـــذه الآيـــة حينمـــا اشـــترط أغنيـــاء قـــريش أن يجعـــل لهـــم رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم مجلســـا خاصـــا ، فقـــالوا : نـــح عنـــك هـــؤلاء المـــوالى ، يقصـــدون بـــذلك أهـــل الصـــفة مـــن أمثـــال ســـيدنا بـــلال وصـــهيب وعمـــار . وعجبـــا لغفلـــة هـــؤلاء الأغنيـــاء ، فقـــد قـــال ســـيدنا عمـــر رضـــى الله عنـــه وأرضـــاه : رحـــم الله أبـــا بكـــر ، انـــه كـــان ســـيدنا وأعتـــق ســـيدنا ، يقصـــد بـــذلك ســـيدنا بـــلال ، لأنـــه نظـــر بـــروح مـــن الله فعلـــم أن مـــن زكـــاة الله حقـــت لـــه الســـيادة . والقـــرآن الكـــريم يحكـــى لنـــا كيـــف انخـــدع النـــاس علـــى عهـــد ســـيدنا موســـى بقـــارون لغنـــاه الـــذى وصـــفه الله فقـــال (وآتينـــاه مـــن الكنـــوز مـــا ان

---

[1] آية ٢٨ سورة الكهف .

مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة)[١] إذ قالوا (يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون)[٢]. فلما خسف الله به وبداره الارض تبين لهم قدرة عند الله فقالوا (ويكأنه لا يفلح الكافرون)[٣] ، قالوها بعد أن عرفوا فضل الله عليهم أنه لم يفتنهم بزينة الحياة الدنيا فقالوا (لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون)[٤] .

وكان شيخنا ابو خليل رضى الله عنه كثيرا ما يدعو ويقول " اللهم يارب بجاه نبيك المصطفى وحبيبك المجتبى ووليك المرتضى وأمينك على وحى السماء سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم نسألك أن تغفر ذنوبنا وأن تستر عيوبنا وأن تكتب لنا عندك براءة وعتقا من النار وأمنا من العذاب وجوازا على الصراط وطريقا الى الجنة وعاقبة الى الخير

---

[١]آية ٧٦ سورة البقرة .

[٢] آية ٧٩ سورة القصص .

[٣] آية ٨٢ سورة القصص .

[٤] آية ٨٢ سورة القصص

اللهم يارب توفنا بكرمك مسلمين مؤمنين موحدين وألحقنا بالصالحين " .

قرب انتقاله رضوان الله عليه

لما جاء العام الأخير من حياته رضى الله عنه وارضاه كان كثير الاسفار يطوف على أولاده ويقبل عليهم مودعا من غير مقال ، وكان فى إدكو وقد أقبل الآلاف يعاهدونه . وقال وهو يودعهم لعلى لا القاكم فى موقفى هذا بعد عامى هذا ثم قال :

يامن يرى ما فى الضمير ويسمع

أنت المعد لكل ما يتوقع

يامن يرجى للشدائد كلها

يامن إليه المشتكى والمفزع

وكان كثير الخلوات فى هذا العام وكان يقول قبل انتقاله بوقت قصير : سأتزوج بزوجة ذات جمال واعتدا وهى لا تبول ولا تتمخط ولا تبصق . ويقصد بذلك الحور العين ، فكان من يفهمه يبكى . فأكبر الاولياء يشعرون بدنو أجلهم ، وتصدر منهم الإشارات بذلك ، فيفهمها

أحبابهم من ذوى الألباب وذلك من سنة سيد الأنام إذ وقف قبل انتقاله يخطب الناس فقال : (ألا إن عبدا من عباد الله قد خير بين الدنيا وبين ما عند الله فأختار ما عند الله)[١] ، فبكى سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، فقال سيدنا عمر : انظروا إلى هذا الشيخ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله وعده الخير فيبكى ، فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم علمت أن أبا بكر كان أفهمنا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان سيدنا الشيخ رضى الله عنه يقول " إن شاء الله تكون نهايتنا فى السرو " ، ولما كانت هناك بلدة بهذا الاسم اعتقد المريدين أن سيقضى أجله فى هذه البلدة وهو يقوم بإحدى جولاته داعيا الى الله ، فلما مات رضى الله عنه ودفن فى مكانه الحالى بالزقازيق وأخذ أولاده يتخذون الإجراءات القانونية لإقامة مسجد بجوار الضريح وجدوا أن هذه

---

[١] ورد فى كتاب بأحوال المصطفى لابن الجوزى

البقعة تقع فى حوض يسمى حوض السرو . وهذه الكرامة لا تكون إلا لكبار الأولياء الذين أطلعهم الله على غيبة فقال (ولا يحيطون بشىء من عمله إلا بما شاء)[١] فأطلعهم بمشيئته على غيبة الذى قال عنه (وما تدرى نفس بأى أرض تموت)[٢] . وهى خصوصية للأكابر المقربين إذ يطلعهم رب العالمين على مستقرهم فى الأرض وقد طلب سيدنا أبو الحسن الشاذلى رضوان الله عليه من تلميذه الاول وخليفته سيدي أبى العباس المرسى أن يأخذ معه غلقا وفأسا وحنوطا وما يتجهز به الميت ، وكانوا خارجين للحج فسأله المرسى عن السبب فى ذلك فقال له إذا وصلت الى حميثرة فسترى ، فلما بلغوا وادى حميثرة بالصحراء الشرقية فى طريقهم للحج مات سيدي أبو الحسن فجهزه المرسى ودفن فى ضريحه الانوار بوادى حميثرة . وروى أن أحد الأولياء الصالحين حين وافاه أجله دخل فاغتسل ولبس أكفانه وأمر أحبابه ألا يدخلوا عليه إلا بعد وقت معلوم فلما دخلوا عليه وجدوه مسجى وقد كتب لهم شعرا يقول :

---

[١] آية ٢٥٥ سورة البقرة .

[٢] آية ٣٤ سورة لقمان .

قل لأقوام رأونى ميتا

فبكونى ورثونى حزنا

لا ترعكم هيبة الموت فما

هى إلا نقلة من ها هنا

كنت ميتا بينكم قبلها

فحييت وخلعت الكفنا

ويقصد بذلك أن روحه قد خلعت بإذن ربها كفن الجسد وتحررت الى بارئها .

وفاة الشيخ :

إنتقل الشيخ رضوان الله عليه يوم الثلاثاء ١٣ شوال عام ١٣٣٨ هجرية الموافق ٢٩ يونية سنة ١٩٢٠ميلادى عن عمر ناهز التسعين عاما من فيض الاسرار ومواكب الانوار وبعد ان ملأ طباق الارض علما نافعا ونورا ساطعا وربى رجالا حملوا لواء الدعوة عاليا خفاقا ، اجتمعوا على المحبة والاخاء ، وسار الركب وحدى حادى الأرواح يوقظ القلوب الغافلة .

والمريدين يقيمون المساجد بجوار الاضرحة حتى يتسنى للزائرين أن يأدوا عباداتهم وللعابدين أن يزوروا وليا من أولياء الله فتحدث لهم العبر ،

ولضريح سيدنا الشيخ أبو خليل الانوار قصة وكرامة أتى بها قبل انتقاله ، فقد كان يقول لسيدى عبد السلام الحلوانى ما رأيك ياسيد عبد السلام لو دفنت بجوار مسجد طوله كذا وعرضه كذا وارتفاعه كذا ، فحدد له أبعاد المسجد المقام حاليا والذى بدىء فيه بعد وفاته . وذات يوم كان الشيخ فى طنطا جاء لزيارته أحد موظفى وزارة الداخلية وهو المرحوم الأستاذ محمود عبد الرسول سليمان فطلب الدعاء من الشيخ فقال له الشيخ بعد ان دعا له (إن شاء الله ستقدم لنا خدمة عظيمة) فتعجب الرجل من قوله . وفى وقت لاحق بالاسكندرية دخل على الشيخ ابو خليل أحد كبار العلماء وهو الشيخ ابو الفضل الجيزاوى فتلقاه الشيخ بترحاب قائلا ، أهلا ومرحبا بشيخ الازهر ، فرد عليه قائلا : كيف هذا إن مرسوما قد أعد لتعيين شخص آخر فى هذا المنصب والمرسوم تحت التوقيع الملكى الآن . فأكد له سيدنا الشيخ أبو خليل أنه سيكون شيخا للأزهر بإذن الله . فلما عاد الى القاهرة فى اليوم التالى وجد أن الملك قد رفض توقيع المرسوم للمرشح الاول ووقع الاختيار على الشيخ ابو الفضل الجيزاوى وصدقت نبوءة الشيخ أبو خليل ، ولما دفن رضى الله عنه وأرضاه وطلب أحبابه إقامة مقبرة خاصة بعيدة عن المقابر العامة ، ذهب

الطلب الى وزارة الداخلية وكان سكرتير مسئول المقابر هو نفسه ذلك الموظف الذى قال له الشيخ آنفا أنك ستقدم لنا خدمة عظيمة ، فتذكر قوله الشيخ واهتم بالأمر ، وطلبت الداخلية رأى الأزهر فذهب الورق الى الشيخ ابو الفضل الجيزاوى شيخ الأزهر فأشار أن الشيخ ابو خليل من خواص الأولياء ذوى الكرامات الباهرات . فوافقت الداخلية على دفن الشيخ فى مقبرة خاصة ، وهكذا بدىء فى إقامة ضريحه الأنور بالزقازيق .

الكرامـــات

الكرامة هى خرق للعادة فيما لا يتعارض مع شرع الله ، لأن الله هو على الحقيقة مؤتى الكرامـــة والله لا يـــأمر بالفحشـــاء (قـــل إن الله لا يـــأمر بالفحشـــاء)[١]. فمـــن فعـــل خارقـــة تعـــارض الكتـــاب والســـنة فهـــى ليســـت من الله بأى حال من الأحوال ، وقد قال العارفون : إذا رأيتم الرجل يطير فى السماء ولا يصلى للقبلة فلا تعتقدوه . والكرامة تحدث للولى لتثبيت القلوب وإظهار القدرة من علام الغيوب ولا كرامة تعدل الاستقامه . والولى الذى استقام على شرع الله ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتخذه . . . أسوة حسنة يترقى فى مقامات المحبة والرضوان حتى يصير على القدم المحمدى ومعنى كونه على القدم المحمدى أنه ينقل قدميه حيث ينقلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يقتفى أثره خطوة بخطوة ، فلا يأتى بفعل أو قول إلا وقد تطابق مع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وهذا مقام من الصدق

---

[١] آية ٢٨ سورة الأعراف .

والكشف والنور والمراقبة لا يتأتى إلا لمن اصطفاهم رب العزة من سابق الأذل ، وهنا تكون كرامات الولى من مدد النبى ، فالكرامة للولى هى شذى من عطر النبى ليست العطر ذاته بل نسماته . والكرامة هى طيب من عرف الياسمين وثمرة من رياض النبى الأمين ووردة غرست فى بساتين قيعانها لا اله ألا الله الملك الحق المبين واللهم صلى على سيد المرسلين وزين العارفين وإمام السالكين ورحمة العالمين . أهم كرامة كما قلنا هى الاستقامة ، فقد قال رب العزة مخاطبا حبيبه صلى الله عليه وسلم (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك)[1] أى ومن تاب معك من المؤمنين . وقد كان شيخنا أبو خليل رضى الله عنه يقول : أفضل الكرامات هى استدامة ذكر الله تعالى فمن استقام على شرع الله وداوم على ذكر الله فهو فى كرامة ما بعدها كرامة . وقد سأل أحد المريدين شيخه وكان يأكل معه فى إناء فقال ما هى الكرامة يا سيدي ؟ قال الشيخ مشيرا للاناء ماذا يحدث إن امتلأ هذا الإناء قال المريد يفيض من

---

[1] آية ١١٢ سورة هود .

جوانبه ، قال الشيخ هكذا الولى يفيض بأحواله . ولأن الله تعالى يقول فى وصف أوليائه (لهم ما يشاءون عند ربهم)[١] فإن من كرامة الولى الاستجابة ، وقد سئل سيدنا الشيخ أبو خليل لما لوحظ إجابة الله له إذا دعا فقيل له : يقولون أن الله يستجيب لكم قبل أن ترفعون أيديكم للسماء ، قال : والله إن الله يستجيب لنا قبل أن تتحرك حواجبنا للسماء . ولا عجب فقد علم الله مافى قلوبهم من قبل أن تلفظ به السنتهم ، بل إن الله يستجيب لهم قبل أن يلهمهم السؤال ، بل أنه يلهمهم السؤال ليجيبهم . وسبحان من ملك القلوب وأحب أحبابه وغار عليهم فقال فى حديث قدسى (من عادى لى وليا فقد أذنته بالحرب)[٢]. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (يسأل الله عبده يوم القيامة هل عملت لى عملا قط يقول يارب صليت يقول أن هذا لك يقول يارب صمت يقول انما

---

[١] آية ٣٤ سورة الزمر .

[٢] رواه البخارى .

هذا لك وهكذا.... فيقول العبد يارب وما هو العمل الذى هو لك وأنت رب العالمين يقول الله هل واليت لى وليا أو هل عاديت لى عدوا) . ومن هذا يتبين لنا أن أولياء الله هم أحبابه يتولهم بحفظه ويغار عليهم ، لهم عنده ما يشاءون وعلى ما يشاء من غيبه مطلعون ، فلا غرابة أن تظهر على أيديهم الكرامات ظاهرة وباطنة . ومن أول الكرامات التى أثبتها الله فى كتابه العزيز قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)[1]فتساق القلوب إليهم سوقا من غير قصد ولاتدبير ، فنرى مثلا أن المسلمين يأتون بالملايين مزارات أهل البيت يدعون لهم ولو سيق الناس بالسياط ما بلغوا هذا الجمع الغفير بل إنهم يتكلفون مشقة الأسفار وينفقون من أموالهم طائعين حتى يحظوا بشرف زيارة أهل البيت الكرام ، ولاعجب فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم (اذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل أن

---

[1] آية ٩٦ سورة مريم .

الله تعالى يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، فينادى فى أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض)[١]وقد هدى سيدنا الشيخ أبو خليل مئات الألوف من الضلال وفتح قلوبا غلقا وأشرق عليها بنور اليقين ومازالت بركته تعمهم الى يومنا هذا وستظل كذلك باذن الله الا أننا رأينا أن نذكر بعض الكرامات الأخرى لبيان فضل الله عليه .

والصحابة الأعلام قد كثرت كراماتهم فمنهم من أوتى السمع والبصر فى روحه ومنهم من طويت له الأسفار ، فهذا سيدنا عمر بن الخطاب يقف على المنبر يخطب فى الناس بالمدينة المنورة فاذا هو يخاطب سيدنا سارية قائد جيش المسلمين فى العراق فيقول صائحا محذرا (الجبل يا سارية الجبل) اذ أتاه الله البصر فى روحه فرأى جيش الأعداء يحاول أن يلتف حول جيش المسلمين فينادى بصوته (الجبل يا سارية

---

[١] رواه الترمذي .

الجبل) فيسمعه سارية بروحه ويفهم مقصده فيحتمى بالجبل ويتم له النصر بعد ذلك رحمة بالصحابة المقاتلين من الله رب العالمين ، وقد وردت هذه القصة فى التاريخ ولا ينكرها حتى المستشرقين . وهذا أبو العلاء الحضرمى عند فتح البحرين يعبر بالجيش الماء بعد أن سمى الله فعبر بخيله الماء كأنه يسير على سطح الأرض وتم لهم النصر المبين . وهذا سيدنا عثمان بن عفان يدخل عليه جماعة ومنهم رجل قد نظر الى امرأة فى الطريق ، فيقول سيدنا عثمان : يدخل أحدكم وفى عينيه أثر الزنا فيقول الرجل أوحى بعد رسول الله فيجيب سيدنا عثمان ولكنها فراسة المؤمن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل)[١] . وهؤلاء جند المسلمين يقولون وقد استعصى عليهم فتح تستر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال (كم من أشعث أغبر ذى طمرين لايوبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء

---

[١] رواه الترمذي .

بن مالك)[١] والبراء بيننا ، فلما ذهبوا إليه قالوا له الحديث وطلبوا منه الدعاء لهم فوقف داعيا يقول (اللهم افتح هذا الحصن على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وارزقنى الشهادة فى المعركة) ففتح الحصن ومات شهيدا رضوان الله عليهم أجمعين . وعن أبى سعيد الخدرى (أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا فى سفر فمروا بحى من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا لهم هل فيكم راق ؟ فان سيد الحى لديغ أو مصاب ، فقال رجل منهم نعم ، فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ الرجل فأعطى قطيعا من غنم فأبى أن يقبلها وقال حتى أذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له فقال يا رسول الله والله ما رقيت الا بفاتحة الكتاب فتبسم وقال ما أدراك أنها رقية ؟ ثم قال خذوا منهم واضربوا لى بسهم معكم)[٢].

---

[١] رواه الترمذي عن أنس بن مالك .

[٢] رواه مسلم .

والأمثلة كثيرة فقد تتابعت الكرامات على هذه الأمة جيلا بعد جيل وقد قالوا :
وأثبتا للأوليا الكرامـــة
ومن نفاها فانبذا كلامـــه

وأول الكرامات وأعظمها فى طريق سيدنا الشيخ ابو خليل هو الفتح الالهى بعلوم لدنيه علـــى تلاميـــذه ومريديـــه فكـــانوا ولا يزالـــون ينطقـــون الحكمـــة والشـــعر إلهاما ، ومن حفظ الله لهم أن شعرهم فى وادى الملكوت فلا ينظمون أبياتا تخالف شرع الله ، ويقول فى ذلك سيدي الشيخ على عقل :

ولست الذى فى واد مرددا
ولكن وادينا المحبة والذكر

والدليل على أن شعرهم وكلامهم إلهاما من الله تعالى لأوليائه أنهم لا ينطقون ' إلا حقا لأن الملهـــم بـــذلك هـــو الحـــق ويقـــول مولانـــا رســـول الله صـــلى الله عليـــه وسلم (ان من البيان سحرا ومن الشعر حكما)[١] وقد

---

[١] رواه احمد فى مسنده .

أجاز صلى الله عليه وسلم الشعر الذى يتردد فى وادى الحق ومنه ما نقله سيدنا حسان بن ثابت عن سيدنا بلال مترجما عن لسان الحبشة بعد أن أخذ بلال فى حب المصطفى صلى الله عليه وسلم :

أرا بـرا كنكرا *** كراكرى مندرا

فترجمها سيدنا حسان الى العربية بناء على طلب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إذا المكـــارم فى آفاقنا ذكـرت

فإنما بك فينا يضــرب المثـل

وبردة المديح لكعب بن زهير معروفة ومنها

ان الرسـول لنور يستضـاء به

وصارم من سيوف الله مســلول

ووصف سيدنا حسان المصطفى صلى الله عليه وسلم قائلا

لمـا نظرت إلى أنواره سطعــت

وضعت من خيفتــى كفى على بصرى

خوفـا على بصرى مـن حسن صورته

فلســت أنظره إلا على قـدر

روح من النـــور فى جسم من القمر

كحليـــــــة نســـــــجت بالأنجـــــــم الزهـــــــر

ومن إلهامات أولاد سيدنا الشيخ أبو خليل الشىء الكثير الذى لا يعرف عدده ولا يحد فضله لأنه مدد من كلمات الله التى لا تنفذ ، ونسوق أمثلة لبيان روعتها وعلو قيمتها . وقد نالوا إن رشفة من البحر تدلك على عذوبة مائه ، فهيا لنرشف رشفة من بحر الخليل تسكر بها أرواحنا ولا سكر فهى كما وصف رب العالمين (يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم)[١].

يقول سيدنا على عقل فى بعض إلهاماته وقد دخل الطريق حديث السن والعهد ففتح عليه بعد أربعين يوما بعلوم لدنية نورية صفية ولكنه كان يلحن فى النحو فأجلسه سيدنا الشيخ ابو خليل أمامه بعض الوقت ثم قال له قم ولا تلحن بعد ذلك ، فتقوم لسانه وكأنه تلقى قواعد اللغة من سيبوبه . ولا عجب أن يقول :

ولم أكن إلا مزمارا

وشيخى هو الموحى بتلك المدعات

---

[١] آية ٢٣ سورة الطور .

ومن الهاماته على سبيل المثال التى نقلناها عنه قوله :

قتلت هوى نفسى فعشت بلا نفس
وجافت أنسى فأنتهيت الى الأنس
ولم أبد أمرى للعباد فطالما
كتمت الذى ألقى عن الجن والإنس
وأدركت بالوجدان ان سر أحبتى
وعاينت آيات اليقين بلا لبس
وعشت زمانى لست أحفل بالورى
وكيف وقلبى هام فى مشهد القدس
وعلمت غيرى ما أفدت من الهدى
فلم يبق ذو فهم لدى على طمس
إذا وسد الناس القبور فاننى
جعلت التقى والذكر بين الورى رمسى
ولم يخشى من باس ولم أخشى طاغيا
ومن يخشى ذات الله لم ير من بأس
وهل غير ذات الله للنفس مطلب
حرام سوى الرحمن يدخل فى نفسى
وتوجت بالقرآن نفسى عقيدة
أصون به نفسى عن الذيع والدس
وما اتخذت روحى سوى لله غاية
فتم الهدى للروح والقلب والحس
وإن شرب الناس الطلا وتصببوا
فسنة خير الخلق فى شربها كأسى

وقوله :

وقفت على نجوى الاله جوانحى

لذلك قلبى منزل كله ذكر

وأخليت قلبى من مناجاة غيره

فأصبح طودا لا يزلزله الغير

أسارع مشتاقا وأسكت هائما

وأنطق إجلالا وما عاقنى سير

ففى صحوتى شوق وفى غفوتى هوى

وفى مشيتى علم وفى وقفتى سر

القلب من قوة الإيمان مشهده

وفى بحار الخلى طاب مورده

وقوله:

ألوذ بالله لا أبغى به بدلا

ومن يلذ بجلال الله يسعده

أرضى به وهو يرضينى ويغمرنى

بفضله وبهذا العلم أعبده

أخلى فؤادى له من كل شائبة

إن عشت أو مت أعضائى توحده

وكيف أرضى بغير الله متجها

والكل والجزء والأحشاء تعبده

اذا سهرت فما أسهرت من ملل

لكنه الحب يدعونى وأشهده

ومنذ تغزلت فى ربى وما ألفت

روحـــــى ســـــواه تجـــــاف الحفـــــن مرقـــــده

اذا مددت يدى لله أسألـه

مدت إلى بمعنـى فضلـه يـده

وكان رضى الله عنه ينشد على مجلس الذكر فقال فيما أنشد به :

حوالى فضل اللـه من كل جانـب

عزيز غزيـر جاه اليـوم واصل

فطلبت منه أن يأتى ببيت آخر يبدأ بقوله حوالى فقال :

حوالـى نور المصطفى وأنـا بـه

أموت وأحيـا انه لـى متاهـل

فطلبت منه مرة أخرى أن يأتى ببيت آخر فقال :

حوالى نجم العلم يسكـن جبهتـى

أسالم أيـامى ومـا أنـا جاهــل

فطلبت بيتا آخر فقال :

حوالـى إينـاس من اللـه وحـده

ومـا لعبت يومـا بعقلـى الشواغل

فطلبت بيتا آخر فقال :

حوالـى اشراق من الشرع ثابت

وشمس التجلـى ما عليهـا حوائـل

فهـــام الحاضـــرين وبهـــرهم هـــذا الالهـــام الـــذى لا يتوقـــف .

وسأله شخص آخر أن يأتى بقصيدة على وزن البيت الآتى :

المصطفى مازال يعلـو قـدره

حتى غدا فى الكـون مسكا عطرا

فارتجل رضى الله عنه قصيدة كبيرة تربو على الخمسين بيتا منها :

(المصطفى مازال يعلـو قـدره)

فسما الزمان أوائلا وأواخـرا

طهر فؤادك من شوائب غيــه

حتى تقابلــه فؤادا طاهرا

ياسيدى ولقد غدوت مناجيــا

عمرى وبت مع الجـلال مسامرا

كم من صغير جاء حيك تائبا

أضحى يسود من الرجال أكابرا

الى ان قال :

أنا باسمكم والى اسمكم ولوسمكم

فى رسمكم قلبى على الشعرى سرى

واختتم الابيات :

ولكم أراه فى العوالم صاعـدا

(حتــى غــدا فــى الكــون مســكا عــاطرا)

وقد يفتح على السالكين فى طريق سيدنا الشيخ ابو خليل بتفسير كتاب الله إلهاما فتصب علوم فيضية فى قلوب المخلصين منهم فيأتون بباهر علوم ودلالات ، يعجز عن الوصول إليها أساتذه التفسير وعلمائه. ولا عجب أن يسلك الطريق الكثير من هؤلاء العلماء الأفاضل بعد أن أيقنوا أن الشيخ يغرف من بحر إلهى وهم كثيرون وقد كانوا يتلقون الرعاية والتكريم من شيخنا أبو خليل عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (أنزلوا الناس منازلهم)[١]

جاء لمجلس سيدنا الشيخ ابو خليل ذات يوم شيخ المعهد الدينى بدسوق فى تلك الأيام متعطفا بعلمه فلما جلس تركه الشيخ ابو خليل وأقبل على بعض من أولاده الفقراء فكبر ذلك فى نفس الزائر . وما أن تحدثت نفسه وتحركت إلا والتفت إليه الشيخ أبوخليل قائلا ، إن هؤلاء قد جاءوا من الصعيد لزيارتى ولذلك وجب على تحيتهم وإكرامهم . وهو فى ذلك يفعل ما فعله

[١] متفق عليه .

سيدنا أحمد البدوى إذا ذهب اليه أحد شيوخ عصره وكان حاله كحال صاحبنا فتركه سيدنا أحمد البدوى وأخذ يعتنى بالفقراء من أولاده فجال بخاطر الشيخ أن هذا رجل مجنون اذ يتركنى وأنا أهل علم وفضل ويعتنى بهؤلاء الفقراء الدراويش وفى هذه اللحظة التفت اليه سيدنا الشيخ أحمد البدوى قائلا :

مجانين إلا أن سر جنونهم

عزيز على أعتابهم يسجد العقل

فقام وقبل يده واعتقده . وهم فى ذلك يبغون وجه الله ويعملون بعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال له ربه (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه)[١] . وقد كان العلماء يسألون الشيخ على عقل فى مسائل محيرة ، يقول الشيخ على رضوان الله عليه : ما أن أسمع السؤال حتى أتحير فى فهم معناه فما بال الإجابة عليه ، فيقول سيدي الشيخ أبو خليل سمعت يا على يا بنى فأقول سمعت ياعم ، يقول

---

[١] آية ٢٨ سورة الكهف .

اجب يقول الشيخ على وهنا تصب العلوم فى قلبى صبا حتى يكاد لسانى لا يلاحق جنانى . ويعبر عن هذا المقام ما قاله الشيخ عبد الحكيم عطا أحد كبار العلماء فى عصر سيدنا الشيخ حين سمع أولاد الشيخ الكرام يفسرون آيات من كتاب الله (ما كاد يطرق سمعى أول التفسير حتى ، تنبهت أنه برق لامع يعقبه المطر وأن الأمر جد ذو خطر الى أن انتهى التفسير وأنا جالس كالأسير فأخذت أسال ، الشيخ عن مشكلات فيجيب عنها باختصار يحل نكاتها ويفض استشكالاتها كما يشير أكابر العلماء إلى لب اللب فى غاية من البلاغة النادرة وفى ثبات وتحقيق لا تؤخذ عليه بادرة حتى كان الحق للعينين عيان) . ويروى المرحوم الأستاذ محمد محمد أبو خليل نجل سيدي الشيخ ابو خليل أن الشيخ طنطاوى جوهرى وهو عالم فيلسوف قد ورد بخاطره أن الفتح الذى يراه من سيدي الشيخ على عقل قد يكون فلتة من الفلتات ، فسأل سيدنا الشيخ أبوخليل : ألا يوجد من يفسر غير الشيخ على عقل ؟ يقول السيد محمد محمد أبو خليل فاستدعانى أبى وكنت صغيرا ولم يتجاوز تعليمى السنة الثانية الثانوية بالمدارس فطلب الشيخ طنطاوى تفسير قوله تعالى

" والسماء رفعها ووضع الميزان " فذهبت لآخر السرادق ودونت التفسير ولم أكن أسمع ما يدور من حديث بين الشيخ طنطاوى والشيخ ابو خليل وفجأة أمسكت عن التفسير وكتبت " واكتفى بهذا حيث أمسك الممد عن مدده " ثم توجهت الى حيث يجلس سيدي الشيخ وقرأت ما كتبت حتى اذا وصلت العبارة سالفة الذكر ذهل الشيخ طنطاوى وأخذ يقبل الشيخ أبو خليل وعلمت سبب ذلك وهو أن الشيخ طنطاوى يسأل شيخنا من حين لآخر متعجلا إتمام التفسير وهو يرد عليه انه فى مبدأ الآية حتى اذا تكرر تعجله قال رضى الله عنه وأرضاه " طيب كفى " عندها أمسكت عن الكتابة وأنا لم أسمع ذلك لبعدى .

وذات يوم قدم الشيخ ابو خليل الشيخ بسيونى عسل وهو من أولاده العلماء للصلاة والشيخ فى ذلك يتبع سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قد يؤم المفضول الفاضل فقد قدم رسول الله صلى الله

عليه وسلم سيدنا عبد الرحمن بن عوف للصلاة به فى قباء فقال له صل بنا إماما ليسن لنا ذلك فلا يتناحر المؤمنون على الإمامة فى الصلاة . وكان من عادة الشيخ بسيونى الإطالة جدا فى القراءة ، فقرأ فى الركعتين بسورتى الكوثر والإخلاص فلما قضيت الصلاة قال الشيخ أبو خليل : لقد خفف الشيخ بسيونى رغبة منه فى راحتى ، فقال الشيخ بسيونى : والله لم أجد فى صدرى غيرهما فقد كنت أسكت طويلا بعد الفاتحة باحثا عن سورة طويلة فى صدرى فلا أجد . وهكذا كان يعلم أبناءه بالكرامات ليدلهم على القربات ، فقد قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى بالناس فليخفف فإن منهم المضطر والسقيم وذا الحاجة) .

وفيض نور الشيخ على قلوب مريديه أو سلبه لا يكون إلا للقليل من الأولياء أهل الحق واليقين الأئمة الهداة المتصلين بسيدنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فلهم من روحه التمكين والهدى والإرشاد والتصريف ، ولا يعرف هذا كما قلنا إلا عن القليل من

أمثال سيدنا الشيخ ابو خليل .

(واتقوا الله ويعلمكم الله) :[١]

يخاطب الله عباده المؤمنين فى هذه الآية مرشدا إلى خير كثير وفضل عميم ، فيقول لهم الله اتقوا الله ، والتقوى كما عرفها إمامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه هى الخوف من الجليل والعمل بما فى التنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل .فماذا كانت الهدية والنفحة والعطية ؛ إنها كنوز الدنيا والآخرة إنها قرب ووصل ومقام كريم من رب العالمين فيقول (ويعلمكم الله)[٢] لم يقل سبحانه ويعلمكم بشر أو ملك بل قال إن المعلم لأهل التقوى هو الله بذاته وصفاته ، فيالـه من شرف أى شرف ونور أى نور وسرور أى سرور أن يكون المعلم لنا هو الله . والله إن علمنا فانه يصب العلم فى القلوب صبا ويرفع الحجب عنا فنعلم ما لم نكن نعلم ولا غيرنا كان يعلم (وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) . ولا عجب أن تسخر الدنيا للمتقين

---

[١] آية ٢٨٢ سورة البقرة .

[٢] آية ١١٣ سورة النساء .

فقد قال رب العالمين (يادنيا من خدمنى فأخدميه ومن خدمك فاستخدميه) ، وقد سقنا الآيـــة للتـــدليل علـــى أن التقـــوى تـــورث العلـــم اللـــدنى ومـــن طـــرف خفـــى تـــورث القرب والصلة بالله ، فعلى قدر التقوى يصب العلم صبا فكلما زادت التقوى فاضت العلوم والمعـــــارف علـــــى القلـــــوب (إن أكـــــرمكم عنـــــد الله أتقـــــاكم)[١] وكلمـــــا زاد العلم زادت الخشية (إنما يخشى الله من عباده العلماء)[٢]. وسيدنا الشيخ محمد أبو خليـــل قـــد فـــاض بالإلهـــام علـــى مريديـــه فتـــدفقوا كالأنهـــار ومـــازالوا يلهمون الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا)[٣]، مما يدل على أن هذا الفيض اللدنى لا يكون إلا لإمام المتقين فى عصره وإمام الخاشعين ، لأنه على قدر القدر عند الله يكون العطاء ، وبمفهوم المخالفة يكون قدر علم الشيخ بقدر تقواه . ولا يظـــن أحـــدنا أن الشـــيخ واقـــف عنـــد مـــا علمنـــاه منـــه ، فانـــه لا يعلـــم قـــدره

---

[١] آية ١١٣ سورة الحجرات .

[٢] آية ٢٨ سورة فاطر .

[٣] آية ٢١٩ سورة البقرة .

إلا مولاه .

أما عن الكرامات الأخرى غير كرامة العلم والفتح الربانى فأنها لا تحصى عددا ومنها تسخير الريح والكشف القلبى وشفاء المرضى والأخبار بالغيب بإذن من الله . ونسوق بعضا منها كما نسوق أليك غرفة من البحرلتذوق حلو مائة ونور صفائه .

كما قلنا آنفا فإن سيدنا الشيخ محمد أبو خليل على القدم المحمدى ومن كان له هذا المقام فان كراماته وإكراماته تتصف بالكمال وتغيير الاحوال فينقلب حال الناس معه من ضد الى ضد ومن قبح إلى حسن بفضل الله الذى ينقلهم من الظلمات الى النور (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور)[١] وسبحانه ربى إنه لطيف لما يشاء (إن ربى لطيف لما يشاء)[٢] يصور الشيء فى قالب ضده فيجعل من النطفة المذرة بشرا سويا فتبارك الله الذى إن شاء هدى المعارضين على آيدى الصالحين من

---

[١] آية ٤٣ سورة الأحزاب .

[٢] آية ١٠٠ سورة يوسف .

عباده وكبار الأولياء من أمثال سيدنا الشيخ أبوخليل فيحدث الله على أيديهم كرامات يثبت بها قلوب الناس على طريق الحق ، فيتحول العصاة العتاة على أيديهم من حال الى حال . ومن طرائف الأولين أن الامام العتبى رضى الله عنه وأرضاه كان سائرا بليل فاعترضه قاطع طريق فلما أخذ ما معه سأله من أين أتيت ؟ قال العتبى من بيت تتلى فيه آيات الله ، قال الرجل : وماذا كنتم تقرءون ؟ فتلى عليه العتبى قوله تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون) قال الرجل وقد انقلب حاله : أحقا ما يقول ربنا ؟ قال العتبى : نعم ، فجرى الرجل خلف من كان جردهم من أموالهم فرد إليهم ما أخذ وتاب إلى الله . وتمر الأيام والعتبى لا يعلم عنه شيئا حتى كان يطوف ذات يوم حول الكعبة فقابله الرجل وعرفه فقال له : أسمعنى ما تلوته على يوم أن لقيتك بموضع كذا ، فقال له العتبى وقد تذكر (وفى السماء رزقكم وما توعدون)[1] قال الرجل : لقد وجدنا

---

[1] آية ٢٢ سورة الذاريات .

ما وعدنا ربنا حقا ، ثم قال العتبى (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطلقون)[١] ، قال الرجل من ذا الذى أغضب الله حتى حلف . ولا تعجب فان ما خرج من القلب وقع فى القلب وأما ما خالف الجنان فلا يجاوز الأذان ، ولأن الصدق فى الاحوال هو طريق السادة العارفين فإنهم لا يعظون الناس إلا بما يفعلوم . ومن طريف ما روى عن السادة الصوفية أن رجلا وجد فى نفسه مانعا لإخراج زكاة ماله ، فذهب إلى أحد العارفين واشتكى إليه من شح نفسه ، فوعظه العارف فانشرح صدره وأخرج زكاته ، وبعد حين أراد أن يعتق عبدا له ولكن نفسه كعادتها قاومته والنفس أمارة بالسوء ، وقد قال العارفون فى ذلك : كيف نبرىء أنفسنا ويوسف الصديق يقول وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء ، إلا ما رحم ربى ، فذهب هذا الرجل إلى العارف بالله وشرح له كعادته ما يلاقى ، فقال العارف أمهلنى يومين فلما جاء إليه بعد يومين نصحه العارف فانشرح صدره لعتق العبد

---

[١] آية ٢٣ سورة الذا

ولكنه سأل العارف وقد تحير من أمره فقال يا سيدي قد وعظتنى فى المرة الأولى يوم أن جئتك أما فى الثانية فقد أمهلتنى يومين ، فقال العارف : يا بنى ذلك لأنى كنت أخرج زكاة مالى فأمرتك بذلك ، أما فى الثانية فإنى كنت مثلك أملك عبدا لم أعتقه فأمهلتك حتى أعتق هذا العبد قبل أن آمرك بها ، فنفسى أولى بالنصح منى .

وهذا السيد محمد بك الفقى وكان من أعيان المنوفية قد أسرف على نفسه فبلغ من ذلك مبلغا ، حتى أنه فى ليلة عيد الميلاد وفى كازينو سان استيفانو جعل مشروبات الحضور من المواطنين والأجانب على حسابه الخاص فأنفق على الخمور فى ليلة واحدة أربعة آلاف جنيه كانت ثمنا لأربعين فدانا فى ذلك الزمان ، وأنه أكمل بذلك إضاعة مائتى فدان فى اللهو والفجور ، كان الرجل فى مجلس طرب وخمر وغيرهما مما هو أعظم فعلم بإقامة حضرة خليلية بالبلد ، فذهب مغاضبا ومعه رجاله بالعصى ليحطموا السرادق ويفضوا اجتماع الذاكرين . فلما دخل السرادق على سيدنا الشيخ ابو خليل ووقف أمامه ، وجد نفسه يقول

له وقد مد يده : اعطنى عهد يا سيدي . ولاحظ الحضور فواح الخمر منه فحاولوا إبعاده عن الشيخ فقال لهم الشيخ دعوه . ويجد محمد بك الفقى نفسه وقد ذهب إلى بيته يحطم زجاجات الخمر وكان من قبل قد جمعها بعناية ، ثم يغتسل ويتطهر ويتوب إلى الله حتى أنه تمنى أن يدفن فى المدينة المنورة ، وصدقت توبته ومات فى آخر حجة له ودفن بالجوار .

ويحكى سيدي الشيخ العارف بالله السيد عبد السلام الحلوانى وهو من خلفاء سيدنا الشيخ أبو خليل كيف أخذ العهد على أستاذه سيدنا الشيخ أبو خليل فيقول : سبقنى إلى أخذ العهد أخى السيد عبد الرءوف الحلوانى وكان يحدثنى كثيرا عن كرامات الشيخ الباهرة ، وحدث أن شرف سيدنا الشيخ بيت أخى السيد عبد الرءوف ودعيت إلى المجلس فأجبت ، وقررت فى نفسى ألا آخذ العهد عليه قبل أن استوثق من أمرين ؛ أولهما أن الشيخ من أصحاب المكاشفات القلبيه ، وأن أرى والدى رحمة الله عليه (وكان وليا طاهرا وهو السيد الحلوانى

الخليجى خليفة الطريقة الشبراوية وكان قد مات وتركه صغيرا) فى رؤيه يأذن لى بذلك . وعند مثولى بين يدى الشيخ رحب بى وصرت مغتبطا بلقائه الذى يشيع فى نفسى أنسا عظيما . ثم قمت لنومى فرأيت أبى يأخذنى من يدى ويدخل بى على سيدنا الشيخ ابو خليل يوصيه بى خيرا فلما استيقظت لصلاة الفجر مع الشيخ ودخلت عليه بادرنى قائلا خيرا ما قاله لك أبوك .

ومن كرامات سيدنا الشيخ ابو خليل أنه كان يمد يده فى الغرفة فيلتقط ما شاء وكأنه فى متناول يده ، وكانت تنتابه الخشية فيرى وقد صغر حجمه أو ينتابه البسط فيرى وقد زاد حجمه ، ولا تعجب فإن الله قد قال (وإذ يقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا) وهذا بيان من الله أنه ولحكمة يشاءها قد يقلل الشىء فى عينيك أو يزيده لحكمة يريدها أو لموعظة تقع فى قلب عبده المؤمن والشيخ الولى التقى حين يخشى الله يتضاءل . وللأولياء أحوال مع الله فإذا غالبهم حال الخشية من جلال الله يتضاءلون ، وقد ينكشف هذا

لبعض المريدين الصادقين من أحباب الشيخ فيرون هذا بفضل من الله فتحدث بينهم وبين روح أستاذهم محاكاة ومناجاة وفائدة .

ومن كراماته رضوان الله عليه أنه كان يتاجر مع شركاء له فى القطن ، فكان حين يستلم الجوال وبه القطن يذكر لهم وزنه ، وفى أول الأمر كانوا لا يصدقون فيزنون الجوال فيجدون وزنه كما قال الشيخ حتى اعتادوا صدقة . وبعد قليل جاء بائع بجوال كبير فقال الشيخ به ٩٣ رطلا فقط فإذا به قنطارا فلما فرغوه بعد ذلك وجدوا أن البائع غش وثقل الجوال بملح وأن صافى القطن فى العبوة هو ٩٣ رطلا فقط كما قال الشيخ وهذا الكشف الذى كشف عنه سيدنا الشيخ لنا انما هو لتثبيت القلوب .

ومن كراماته رضى الله عنه أنه كان يجلس ذات يوم مع أحبابه فى مركب شراعى يسير بالهواء وكان يوما قائظا لا هواء فيه حتى قال الحاضرون لو أن الله

يكرمنا بك يا سيدي وتأتى الرياح ، فقال الشيخ رضى الله عنه : تعالى ياهوا ، ومد الواو والألف كثيرا بطول نفسه ، فما كاد أن يتمها حتى اندفع الهواء شديدا حتى كاد المركب أن ينقلب فصاح الناس ، فقال : تعالى نسيم فهدأ . وأولياء الله ، الذين قال فيهم لهم ما يشاءون عند ربهم ، اذا شاءوا من الله أعطاهم بلا حساب عطاء الحبيب القريب لأنهم صاروا عبادا ربانيون يقولون للشيء كن فيكون وقولهم هنا للشيء كن فيكون إنما بأمر الله الذى قال إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، والذى قال فى حديث قدسى (عبدى أطعنى أجعلك عبدا ربانيا تقول للشيء كن فيكون) والذى قال :

(ما تقرب الى عبدى بشيء أحب مما افترضته عليه ، ومازال يتقرب الى عبدى بالنوافل حتى أحبه ، فان أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن استعاذنى لأعيزنه ، ولئن استنصرنى لأنصرنه) .

وكان الصحابة يستسقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فيدعوا لهم فينزل الماء كأنواه القـــرب ، ولا عجـــب فـــإن رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم الـــذى قـــال لـــه ربـــه (لعلـــك ترضـــى) اذا تمنـــى أجـــاب الله أمنيتـــه .

ذكر الله فى الطريقة الخليلية

أجتمع العارفون من أهل التقوى على أن ذكر الله تعالى بأسمائه يعقل القلوب ويوقظها من غفلتها ويكسبها صفات عالية فى الدين لا تتأتى لها من غيره ، فوق أنه يعالجها من أمراضها التى تسبب لها الكدرة ، وتورثها البلادة كالعجب والحقد والبغضاء والكبر . . . الخ . ومن شأن هذه الأمراض الباطنة أن تسدل حجبا على القلوب فتعكر عليها نور الإيمان وصفاته كما تعكره المعاص سواء بسواء . لذلك أرشدوا تابيعهم إلى ذكر الله تعالى والإكثار منه سرا وجهرا ليجمعوا القلوب على الله كل بحسب مذاقه وفتح الله عليه ، وكانوا هم قدوة صالحة لهؤلاء التابعين فأتت دعوتهم أطيب الثمرات وهى دعوة بالعلم والعمل لا بالقول والجدل . وقد كان من أثر العلم والعمل بإخلاص أن أوتى هؤلاء الأكابر الحكمة (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب)[١] فلقنوها لتابعيهم وهدوا بها من الضلال

---

[١] آية ٢٦٩ سورة البقرة .

وعصموا بها من الفتن ، وصارت نورا يستضاء به على مر الأجيال . ولا عجب فقد قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)[١] كما جاء عنه صلوات الله وسلامه عليه (إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وذهدا فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة)[٢].

وقد استدل العارفون على فضل الذكر على سائرالأعمال من قوله تعالى (أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)[٣]، وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم أى المجاهدين أعظم أجرا قال : أكثرهم لله ذكرا ، قال فأى الصائمين أفضل قال ، أكثرهم ذكرا ، ثم ذكر الصلاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أكثرهم ذكرا فقال أبو بكر لعمر يا أبا حفص ذهب الذاكرون بخيرى الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم أجل .

---

[١] أخرجه ابو نعيم فى الحلية من حديث قدسى .

[٢] أخرجه ابن ماجة.

[٣] آية ٤٥ سورة العنكبوت .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (سبق المفردون) قالوا ومن المفردون يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم (الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)[١] . وروى أيضا أن معاذا بن جبل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل ؟ قال (أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل)[٢].

وحيث أمر الله تبارك وتعالى بالذكر اشترط فيه الكثرة ولم يشترط ذلك فى سائر الأعمال فقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا)[٣] وقال (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)[٤] وقال (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا)[٥] وقال (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)[٦] فجعل جزاء الذكر الكثير المغفرة والأجر العظيم

---

[١] رواه مسلم .

[٢] أخرجه بن حيان والطبرانى فى الدعاء .

[٣] آية ٤١ سورة الأحزاب .

[٤] آية ٣٥ سورةالاحزاب .

[٥] آية ١٠ سورة الجمعة .

[٦] آية ٤٥ سورة الأنفال .

والفـــــلاح . وللـــــذكر مزيـــــة هـــــى لـــــه خاصـــــة ليســـــت لغيـــــره وهى الحضور فى الحضرة العلية ؛ قال تعالى فى حديث قدسى (أنا جليس من ذكرنى) ، وقال جل من قائل (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى بشبر تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة)[١] . وقد سئل الشيخ الجليل سيدي ابو خليل : لماذا لا تشمل الطريقة الخليليـــة بعـــض الأوراد كمـــا هـــو متبـــع فـــى كثيـــر مـــن الطـــرق الأخـــرى ؟ فأجـــاب رضـــى الله عنـــه وأرضـــاة : بـــأن الـــذين ألهمـــوا هـــذه الأوراد إنمـــا وصـــلوا إليهـــا بمداومـــة ذكـــر الله تعـــالى فأوصـــلهم ذكـــرهم الـــى هـــذه الإلهامـــات ، وذكـــر لهـــم الحـــديث القدســـى الشـــريف (مـــن شـــغله القـــرآن وذكـــرى مـــن مســـألتى أعطيتـــه أفضـــل مـــا أعطـــى الســـائلين وفضـــل كـــلام الله علـــى ســـائر الكـــلام كفضـــل الله علـــى غيـــره)[٢].

---

[١] ذكره البخاري فى كتاب التوحيد .

[٢] أخرجه الترمذي .

فعلينا ان نتعلق بأصل الأمر كله وهو ذكر الله تعالى لأن الذكر هو اقرب طريق للوصول ، وكفى شرفا كما علمنا أن يكون الذاكر جليس الرحمن وأن يكون مذكورا من الله الحنان المنان تصديقا لموعده إذ يقول (فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون)[١]. وكفانا شرفا ان يكون جزاء ذكرنا له ذكره لنا فقال وأين ذكرنا نحن من ذكره هو لنا إن الفضل كل الفضل والشرف كل الشرف والسر كل السر فى ذكره هو لنا فليس ذكرنا إلا وسيلة يذكرنا بها رب العالمين فنسعد بذلك أيما سعادة ، ويفهم من الآية الكريمة أيضا أن الذكر شكر من قوله تعالى " واشكروا لى ولا تكفرون " أى لا تكفرون بنعمائى وآياتى فتنكرونها ولا تأدون حق شكرها . وقد قرن سبحانه الشكر بالذكر ليدلنا من طرف خفى على أن نستشعر نعمائه سبحانه وقلوبنا تعتلج بذكره والذاكر شاكر والشاكر على مزيد (وإذا تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم)[٢] . وقد قال سبحانه

---

[١] آية ١٥٢ سورة البقرة .

[٢] آية ٧ سورة إبراهيم .

" فاذكرونى " والجمع هنا يشير الى الذكر الجماعى ، وهو ما حرص عليه السادة الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين . وقد يشير الجمع كذلك إلى جماع الجوارح والخلجات فيجمع المؤمن حواسه وجوارحه على ذكرالله . وأول ما يبدأ المريد طريقه يذكر ربه بلسانه ثم بجنانه ثم بروحه ثم بالسر فسر السر ويقول العارفون وهذا هو طريق العوام . أما طريق الخواص فطريق دقيق تتوه العقول فى أقل القليل من وصفه . وذكر اللسان واضح من قوله تعالى " فاذكرونى " لأن جارحة الكلام هى اللسان ومن قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله)[١] آما ذكر الجنان فمن قوله تعالى (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله)[٢] وأما ذكر الروح فإن الذاكر فيه يرى العوالم المحيطة به وقد دلت على معنى الاسم المذكور فتصير الأشياء فى تناسق مع روحه يجر صاحبه الى التفكر فى آيات الله المحيطه به فيراها شاهدة

---

[١] رواه الترمذي .

[٢] آية ٢٣ سورة الزمر .

على جلال الله . وقد حكى عنها ا لله عز وجل فى قوله (يا جبال أوبى معه والطير)[١]وهذا مقام يفهم فيه العارفون معنى (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب)[٢] فمن الأيات أن يرى العارف الأشياء وقد سبحت بحمد ربها ودلت عليه وهو يذكر ربه فيندرج معها فى مقام العبودية خاشعا لله متبتلا إليه ، و (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)[٣]. وذكر السر وسر السر فى قوله تعالى (فإنه يعلم السر وأخفى)[٤]

ومن دامت أذكاره صفت أسراره ومن صفت أسراره كان فى حضرة الله قراره . ومعنى كان فى حضرة الله أن يكون فى حضور دائم مع الله فلا يغفل عن الله طرفة عين . والسر سر بين العبد وربه لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه . والذكر هو معراج السالكين وطريق الواصلين وشجرة المعارف وثمرة كل عارف وهو

---

[١] آية ١٠ سورة سبأ.

[٢] آية ١٩٠ سورة آل عمران.

[٣] آية ٣٢ سورة البقرة .

[٤] آية ٧ سورة طه .

أقصر الطرق إلى الله اذ ليس بعد ذكر الله لك شيىء .

والذكر أفضل باب أنت داخلـه

للـه فاجعل لـه الأنفـاس حراسـا

والذكر أنواع فهناك ذكر حسنات وذكر درجات وذكر فيوضات وذكر هو زلفى وقربات (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى)[١] .

وقد أمرنا شيخنا وريحانه فؤادنا سيدي أبو خليل وكما قلنا من قبل إن الشيخ يأمر بما أمر به ، أمرنا بذكر أسمائه تعالى الحسنى عملا بقوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)[٢] فيذكر المريد أسماء الله تعالى اسما اسما تحقيقا لقوله عز وعلا (واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا)[٣] أى وانقطع له انقطاعا فأمرنا سبحانه أن نذكر أسمائه اسما اسما فقال اسم ربك ولم يقل أسماء ربك فاذا علمنا بالأمر عامه فى الآية الأولى أن ندعو الله أى نذكره بأسمائه الحسنى . فقد بينت الآية الثانية طريق المحبين الخواص

---

[١] آية ٨ سورة النجم .

[٢] آية ١٨٠ سورة الأعراف .

[٣] آية ٨ سورة المزمل .

فى تحقيق هذا الأمر الإلهى العظيم ، وذلك بأن نذكرأسمائه اسما اسما ونتبتل اليه تبتيلا . والانقطاع لذكر الاسم هو انقطاع عن شواغل الدنيا وهمومه وتكرار الاسم له فوائد عظيمة وأسرار دقيقة فتكرار الاسم مع التدبر فى معناه يؤدى بالمريد الى الاستغراق ؛ والشرب من الانوار القدسية . فيحدث للمريد الثبات ويرتقى الدرجات ويستشعر الكمالات ، ولعدو الله ابليس تلبيس أى تلبيس فهو لن يوسوس لعابد بأن يشرب الخمر مثلا أو يعص الله لأن فى ذلك افتضاحا له وكشفا لمستور أمره وقد علم أن هذا العابد لن يقرب الحرمات فلا أقل من أن يحرمه من نيل الدرجات فاذا وجده ذاكرا لاسم من أسماء ربه وقد أوشك على الاستغراق فى معناه واستروحت روحه نسيم عطاياه قال له أليس لله تسعا وتسعين اسما فلماذا لا تذكر اسما آخر فيخرجه من الاستغراق فى الذكر الى الغفلة . ولذلك ولداعى التربية الروحية القويمة فقد أرشدنا شيخنا الجليل أبو خليل الى الاستغراق وعدم ذكر

الاسم التالى إلا بعد أن نذكر الأول مائة ألف مرة هى أعلى عدد ذكر فى القرآن (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون)[١] وقد أمرنا أن نذكر ثلاث عشراسما من أسماء الله الحسنى بهذه الطريقة وهى أسماء جامعة لكل الصفات وفى ترتيبها أسرار وآيات مبهرات وأول هذه الأسماء .

لا إله إلا الله : وأول ما يبدأ به المريد ذكره قوله لا إله إلا الله أى لا معبود بحق إلا الله ولا نافع بحق إلا الله ولا ضار بحق إلا الله ، وهى كلمة التقوى (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها)[٢] وهى أفضل ما قال النبيون والمرسلون (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله إلا الله وحده لا شريك له) وهى حصن الله (لا إله الا الله حصنى فمن دخل حصنى فقد أمن من عذابى)[٣] وبصحتها تصح العبادات ولذلك يبدأ بها ذكر الأسماء وقد جاءت بصيغة النفى لتأكيد الإثبات فينفى الذاكر ماعدا الله فاذا

---

[١] آية ١٤٧ سورة الصافات .

[٢] آية ٢٦ سورة الفتح.

[٣] اخرجه الحاكم فى التاريخ وابو نعيم فى الحلية .

ذكرها العبد واستغرق فى معناها زالت الأغيار وانكشف العزيز الجبار من وراء الحجب والأستارحجب الغفلة وأستار الذات وهنا نرى المريد وقد نفى الأغيار ولم يبقى إلا الواحد القهار وقد أخلى قلبه لذكره وناداه عارفا إياه فانيا فى معناه قائلا الله .

الله : هو علم على الذات العلية لا يسمى به الا الله وهو الجامع لكل الصفات ولذا قال جل فى علاه (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)[١]وهنا تقدير لوقف بعد " ولله " فاندرجت جميع الصفات فى إسمه الله ولذلك كان هو الاسم المشار اليه فى الشهادة حتى تكون الشهادة لمن ليس له سمى (رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا)[٢] فالأية تشير لاسم الله الذى لا يتسمى به أحد إلا الله . وشتان بين ذاكر لله وقلبه متعلق بالشواغل والاغيار وذاكر لله قد فنى عن غيره بذكر لا اله إلا الله فخلى قلبه وعرف سبيله . وإن كان

---

[١] آية ١٨٠ سورة الاعراف .

[٢] آية ٦٥ سورة مريم .

المريد فى هذا الاسم ينهل من جميع الصفات إلا أنه قد ازداد شوقه وتلهف الى الاستغراق فى معانى هذه الصفات فينتقل اليها واحدة بعد أخرى بادئا باسمه تعالى " هو " .

هو : ومعناها حاضر لا يغيب . وأول ما يجب أن يعرفه المريد عن ربه الله الذى ناداه أنه دائم الحضور معه لا يغيب عنه (وهو معكم اينما كنتم)[١]ولذا سمى باسم المعيه " وهو معكم " . وهو إسم من أسماء الله تعالى لا محالة ، فقد قال الله مشيرا به الى ذاته (الله لا إله إلا هو)[٢]فاذا كان الله قد أشار إلى ذاته ب " هو " فكيف لا نشير إليه إشارة الحاضر بقولنا هو . وهو إسم بدليل آخر وهو قول الله تعالى (لا يجليها لوقتها إلا هو)[٣] فأهل الحضور والنور اذا قيل أمامهم " هو " قالوا بغير تفكير ولا تدبير هو الله لأنهم فى محل شهود منذ نفيهم

---

[١] آية ٤ سورة الحديد .

[٢] آية ٢٥٥ سورة البقرة .

[٣] آية ١٨٧ سورة الاعراف .

الأغيار وذكرهم الله الواحد القهار ، أما أهل الغفلة فيقولون متسائلين من هو لأن الأغيار قد تعددت فى نفوسهم فتحيروا إلى من يشير الضمير أما أهل الحضور فقلبهم بالله مشغول .

ياساقى القــوم من شــذاه

القــوم لمـا سقيـت تاهو

غابــوا وبالسكـر فيك طابــوا

وصرحوا بالهــوى وفا هــو

يا عاذلــى خلنــى وشــربى

فلســت تدرى الشراب ماهو

ماقلــت للقلــب أين حبــى

إلا وقـال الضميــر ها هــو

وهو اسم الحضور ، وللاسم انوار مشرقة للنفس ماحقه يروى بعدها الذاكر ويحيى من أسمه تعالى حى .

حى : دائم الحياة لا يموت أبدا ، وبذكره يحيى الذاكر ويروى بماء الحياه فيحيى باطنه فى عالم الملكوت وفى عالم الملك فى الحياه وفى القبر بعد الممات وفى عالى الجنات . والاسم جامع لجميع

الصفات ففيه لباقى الصفات الدوام . ولما كان التوحيد هو غاية الغايات فان العبد وقد أحس بالحياة احتاج إلى أن ينتقل إلى ذكر اسمه تعالى واحد ومعناه لا ثانى له حتى يعلم أن حياته جاءت من فناء أما حياة الله فهى بلا ابتداء ولا انتهاء ، وهنا تأدب وانكسار وعلم بأن الحى المذكور لا ثانى له ولا مثيل .

واحد : لا ثانى له ويدل أيضا على وحدانية الصفات فالله واحد فى خلقه ووهبه وهيمنته وبسطه . . . الخ ووحدانية ليست من قلة بل عزة ربانية وحتى يقوى ويبين معنى العزة من الوحدانية فان المريد يذكر بعد اسمه تعالى واحد اسمه تعالى عزير حتى يعلم أنه واحد لا من قلة بل لأنه عزيز لا مثيل له .

عزيز : لا نظير له ولا مثيل . والعزة تؤدى للسلطان والتفرد بالقضاء " ألا له الخلق والأمر تبارك الله)[١] وهنا تندك عوالم الذاكرين ولا يجد المريد لنفسه كيان مع من له العزة والسلطان . والعزيز

---

[١] آية ٥٤ سورة الاعراف.

يقربك الى مقامات عزيزة ، فاذا من عليك باحداها استشعرت الود لمن قربك وناجاك لأن النفوس الطيبة قد جبلت على حب من أحسن اليها والحب ود وقد آن الأوان لتذكر اسمه تعالى ودود فهيا الى الرحاب .

ودود : كثير الود لعباده (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)[١] والود هو الحب يقذف فى القلوب (يحبهم ويحبونه)[٢] ومن هذا الاسم تمطر الرحمات والهبات وكلما نادى العبد ودود أجاب المعبود بحب وفيوض وحتى قالوا ، ولا نزيد ، ان كثرة الود فلا أعظم من أن يدوم ويثبت . وهنا يأتى ذكر اسمه تعالى حق أى ثابت لا يزول .

حق : ثابت لا يزول (فتعالى الله الملك الحق)[٣] وهذا الاسم وإن كان يشير الى ثبات الود فانه أيضا يثبت لباقى الصفات ثباتا لا يزول ؛ فملكه ثابت لا يزول " الملك

---

[١] آية ٩٦ سورة مريم .

[٢] آية ٥٤ سورة المائدة .

[٣] آية ١١٤ سورة طه .

الحـــــق " وهيمنتـــــه لا تـــــزول وحياتـــــه لا تـــــزول وقهـــــره لا يـــــزول وبســـــطه لا يـــــزول . وقـــــد أتـــــى الترتيـــــب علـــــى هـــــذا الحـــــال حتـــــى يثبـــــت المريـــــد فـــــى الأحـــــوال ويتهيـــــأ لـــــذكر اســـــمه تعـــــالى القهار لما له من هيبة فى النفوس ودك للعوالم والأسرار .

قهـــــار : يقهـــــر ولا يقهـــــر . قهـــــر العبـــــاد بخفـــــى لطفـــــه وقضائه ، وقهر العارفين بباهر آياته ، وقهر المحبيين بجمال ذاته ونور صفاته ٠ وهو إسم يزيـــل الغـــرور مـــن الـــنفس ومـــن أخلـــص فـــى ذكـــره تخلـــص مـــن قهـــر العبـــاد ورأى حق اليقين أن القاهر فوق العباد هو رب العباد وإذ تخلص من قهر الناس وهذا ما دعى بـــه ســـيد النـــاس مولانـــا وحبيبنـــا وســـيدنا محمـــد صـــلى الله عليـــه وســـلم فقال ((وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)) فقد علم أن القهار هو مولاه وأنـه قد ملك دينـــه ودنيـــاه فـــلا عجـــب بعـــدها أن يعلـــم أن ملكـــه دون غيـــره هـــو الـــذى عليه قام فيذكر اسمه تعالى القيوم وقد قرأها سيدنا عمر القيام ٠

قيوم : قائم بأسباب مخلوقاته (الله لا اله إلا هو الحى القيوم)[١] فاذا ذكر العبد اسمه تعالى قيوم زالت المشاغل وحر التدبير واستند الى تدبير العزيز القدير مالك الملك الحى القيوم فسعى كما أمره الله مع حسن التوكل والتسليم الى رب كريم ٠

ولا عجب بعد أن علم أن القائم عليه هو رب العالمين أن يسأله من فضله (واسألوا الله من فضله)[٢] فيستروح العطايا من اسمه وهاب ٠

وهاب : كثير العطاء (ووهبنا له يحيى)[٣] (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا)[٤] وهنا مقامات وأحوال فذاكر يستروح العطاء فيقول

سألت فوفاني رجوت فزادنى

وان كريم الكف ما خاب سائله

وذاكر يفنى بالوهاب عن العطاء فيعطى من خزائن المنن ما لا يعرف قدره إلا الله الذى قال (من شغله

---

[١] آية ٢٥٥ سورة البقرة ٠

[٢] آية ٣٢ سورة النساء ٠

[٣] آية ٩٠ سورة الانبياء

[٤] آية ٥٣ سورة مريم ٠

القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين)[١] ولما كان العطاء مؤديا الى البسط والبسط يستلزم من العبد أن يكون فى محل الأدب والالتزام فقد أمرنا شيخنا بأن نذكر اسمه تعالى مهيمن قبل باسط حتى تدخل الى رحاب البسط وقد تسلحنا بالأدب والمراقبة وهنا وقفة لا تكون إلا من شيخ الشيوخ ومربى القلوب الذى يسعى بك الى الكمال ولا يعطيك إلا وأنت من الأدب فى أحسن حال ٠

مهيمن : مطلع على أفعال مخلوقاته ٠ ويا له من اسم عظيم يذوب معه العبد خجلا وحياء من الله فاذا علم أنه (فأينما تولوا فثم وجه الله)[٢] وأنه (ألم يعلم بان الله يرى)[٣]وأنه (يعلم السر وأخفى)[٤] وأنه (ما يكون من نجوى ثلاثة ألا هو رابعهم ولا خمسة ألا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر ألا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما ٠

---

[١] اخرجه الترمذى ٠

[٢] آية ١١٥ سورة البقرة ٠

[٣] آية ١٤ سورة العلق ٠

[٤] آية ٧ سورة طه ٠

عملوا يوم القيامه ان الله بكل شيء عليم)[١] أيقن أنه لا مكان فى الكون يعصى فيه الله ، وكيف يعصى من يراه ويعلم سره ونجواه حتى أن المريد يرتقى حين يعلم أن الله مطلع على سره ونجواه فيطرد الخواطر والوسواس فيتطهر من خارجه وداخله ويكون أهلا فى هذا الحال للبسط من الله الوهاب .

باسط : (يبسط الرزق لمن يشاء)[٢] فبسط للمال (وأنه هو أغنى واقنى) و (نعم المال الصالح للرجل الصالح)[٣] وبسط للذريه (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)[٤] وبسط لمعانى الشرع فيفاض على العبد بالتقوى (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين)[٥] وبسط للجاه (وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده)[٦] وبسط لفواتح العلوم والمعارف (واتقوا الله ويعلمكم الله)[٧] (وعلمك

---

[١] آية ٧ سورة المجادلة .

[٢] آية ٢٦ سورة الرعد .

[٣] اخرجه احمد والطبرانى .

[٤] آية ١ سورة النساء .

[٥] آية ١٣٢ ، ١٣٣ سورة الشعراء .

[٦] آية ١٢٨ سورة الاعراف .

[٧] آية ٢٨٢ سورة البقرة .

مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)[١] وبسط بالأفراح (وأنه هو أضحك وأبكى)[٢] وبسط للأعمار (وأنه هو أمات وأحيا)[٣]وبسط للأنوار (الله نور السماوات والأرض)[٤] وبسط للتجليات (إذ يغشى السدرة ما يغشى)[٥] وبسط لا يحيط به حد ولا يعرف عد يضيق المقام عن الخوض فى معناه (فأوحى إلى عبده ما أوحى)[٦] وأسمه تعالى باسط يشتمل فى معناه على مجمل الأسماء التى ذكرها الذاكر المريد فيكمل به مانقص وما فات من مقامات وشهود ولذات فهناك البسط فى الحياه والبسط فى القيوميه والبسط فى الود . . . الخ وإذ جاء ذكر اسمه تعالى باسط بعد طول مراقبة من ذكر اسمه تعالى مهيمن فقد استقبل المريد البسط وهو على بساط القربى خاشعا ذليلا يعرف المقام فلا يخرجه بسطه عن حد الأدب والاحترام وهذا ما وصف به رب العزة نبيه سيدنا ومولانا محمد فقال (مازاغ

---

[١] آية ١١٣ سورة النساء .

[٢] آية ٤٣ سورة النجم .

[٣] آية ٤٤ سورة النجم .

[٤] آية ٣٥ سورة النور .

[٥] آية ١٦ سورة النجم .

[٦] آية ٢٠ سورة النجم .

البصر وما طغى)[١] فكان فى مقام البسط وهو فى محل الأدب والبسط أنس ما بعده أنس وذهاب للكرب والغم والهم واسترواح لوعد رب العالمين اذ يقول (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[٢].

ثم هاهو المريد يعيد الطواف بالأسماء بادئا بلا إله إلا الله وفى العودة فكرة لا تداينهما فكرة فان الذاكر المجد كلما عاد لاسم من الأسماء وقف على معناه واقترب من مولاه فيرى ما لم يره فى الدورات السابقات وفاضت عيناه بالعبرات واذا اقترب من ديار الحبيب بعد غيبة ، وتذكر ماكان له من هوى وذكرى ومن مذاقات ونجوى ففاضت عيناه شوقا وأفاض عليه الحبيب فى هذا الاسم من المقامات ما لم يكن من قبل يراه ، وهنا ينقطع فى الرحاب وينطبق فعله أو يكاد مع ما أمره به مولاه رب العباد (واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا)[٣]

---

[١] آية ١٧ سورة النجم .

[٢] آية ٦٢ سورة البقرة .

[٣] آية ٨ سورة المزمل .

ولأن شيخنا الجليل أبو خليل هو مجدد العصر والأوان فإن ما أمر به من الانتقال من اسم لاسم ثم العودة لدورة الاسماء من جديد هو عطاء ولا حرمان لروح المريد ، فيذوق جميع الفيوضات وينتقل بين جميع المقامات فيتحصن بالوحدانية والخشوع والمراقبة والود . . . الخ ، فى عصر طغت فيه المادة واختلطت فيه الفتن وتعاقبت ، واستلزم الأمر تقوية الروح بالعديد من المعانى حتى تكتسب مناعة من الاغيار وتدخل فى حصن العزيز الغفار . وبالإضافة إلى هذا الامتياز فإن الترقى فى المقامات وبلوغ غاية المذاقات فى كل اسم من الأسماء سيأتى بتكرار الطواف على كافة الأسماء . والذكر فى الطريقة الخليليه يكون ليلا عملا بقوله تعالى (وسبحه ليلا طويلا)[١] واسترشادا بقوله تعالى (إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا)[٢] وتدعونا الطريقة الى الاكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم نهارا فلا يخلو نهارنا من جنات

---

[١] آية ٢٦ سورة الإنسان .

[٢] آية ٦ سورة المزمل .

وأنهار من عسل مصفى ولبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وخمرة لذة للشاربين لاغول فيها ولا تأثيم فهنيئا لنا بالصلاة على مولانا وحبيبنا شجرة الأصل النورانيه ولمعة القبضة الرحمانية وأفضل الخليقة الإنسانية وأشرف الصورة الجسمانية ومعدن الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية سيدنا محمد ، قائلين ما سمحت لنا الأوقات " اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد ما فى علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله " . أما بعد ختام الصلوات الخمس فيقال ثلاثا " اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد حروف القرآن حرفا حرفا وعدد كل حرف ألفا الفا وعدد صفوف الملائكة صفا صفا وعدد كل صف ألفا الفا وعدد الرمال ذرة ذرة وعدد كل ذرة الف الف مرة ما أحاط به علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك فى برك وبحرك وسائر خلقك عدد ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل ، اللهم صل وسلم وبارك على

سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه مثل ذلك " . أما فضل الصلاة على الحبيب المصطفى فهو العتق من النار والبراءة من النفاق والتشبه بالملائكة الأبرار والفوز فى دار القرار ونوال رحمة العزيز الغفار ، وهى حبل الواصلين وأمان الخائفين ونور المحققين وسدرة المنتهى . ويقول صلى الله عليه وسلم (أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة) [١] ويتحلى السادة الخليلية بكثرة الإستغفاربالصيغة الواردة فى السنة على أنها سيد الاستغفار وهى (اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت)[٢] ويكفى ما قاله الرحمن فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)[٣] وقوله (فقلت

---

[١] رواه الترمذي وابن ماجه فى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه .

[٢] رواه البخاري .

[٣] آية ٣٣ سورة الأنفال .

استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)[١] . وكفانا خجلا أن نعلم أن المعصوم المطهر الذى لا ينطق عن الهوى قد قال (والله إنى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة)[٢] وإن كان استغفاره صلى الله عليه وسلم لاعن ذنب بل ليسن لنا الاستغفار ولأن الله هو الغفار فإن العبودية تقتضى أن نتقرب إليه بالاستغفار .

اللهم ارضى عن شيخنا وامامنا أبو خليل سلطان

الذاكرين وشيخ المخبتين الصادق الوعد الأمين واجعلنا فى ركبه يوم الدين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله وكيلا .

---

[١] آية ١٠ ،١١ ، ١٢ سورة نوح ٠

[٢] رواه البخاري ٠